الإدارة العامة للثقافة والنشر
سلسلة دعـوة الحـق
كتاب شهري محكّم



«نضّر الله امرءا سمع مقالتي ...»

«دراسة عقدية»

د/عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالمحسن التركي

السنة الرابعة والعشرون العدد (٢٣٥)
العام ١٤٣٠ - ٢٠٠٩م

" نضّر اللّه امرءا سمع مقالتي ... "

((دراســـة عقديـــة))

تأليـف الدكتور

عبد الرحمن بن عبد اللّه بن عبد المحسن التركي

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية أصول الدين بالرياض

١٤٣٠هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتـوب إليـه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبـده ورسـوله، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فقد أُعطي النبي ﷺ مفاتيح الكلم[1]، وبُعث بجوامعه [2]. والفواتح بمعنى الجوامع؛ " لأن الأمر الجامع ينفتح منه الاستنباط وإظهار الأدلة، فهو جامع، وهو مفتاح " [3].

وفسر الأئمة جوامع الكلم بأنها القرآن، فإنه تقع فيه المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وكذلك يقع في الأحاديث النبوية الكثير من ذلك [4].

---

(١) كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه رقم ٦٩٩٨. وجاء في رواية أسلم بن سهل: فواتح الكلم. فتح الباري لابن حجر ١٣/٣٩٠- ٣٩١.

(٢) صحيح البخاري رقم ٢٩٧٧ و٧٠١٣، وصحيح مسلم رقم ٥٢٣ عن أبي هريرة.

(٣) من كلام العلامة محمد بن محمد الخيضري في كتابه: " اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ " ٢/١٨٢.

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر ٦/١٢٨.

" وكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني "[1].

وكان المصطفى ﷺ حريصاً كل الحرص على أمته ونجاتها، بتعليمها، وتربيتها، وتبصيرها، وخاصة في مسائل العقيدة.

والمتأمل لسنة المصطفى ﷺ يلحظ أن كثيراً من الأحاديث قد حوت لوحدها مسائل عقدية وفيرة ومهمة، وينبغي الوقوف عند هذه الأحاديث، وتأملها، وبحثها، ودراستها، واستنباط مسائل العقيدة من هذه الجوامع التي اختص بها سيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ .

ومن هذه الأحاديث المهمة الجامعة لكثير من مسائل العقيدة قوله ﷺ: " نضر الله امرءا سمع مقالتي فحملها إلى غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، ومن كانت الدنيا همه نزع الله الغنى من قلبه، وجعل فقره بين عينيه، وشتت الله عليه ضيعته، ولم يأتِ من الدنيا إلا ما رزق، ومن كانت الآخرة همه، جعل الله الغنى في

---

(١) من كلام النووي في شرح مسلم ٦/٣، وينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٤٣٨/٢، واللفظ المكرم ١٨٢/٢.

قلبه، ونزع فقره من بين عينيه، وكف عليه ضيعته، وأتته الدنيا وهي راغمة ".

والحديث ورد بعدة ألفاظ وروايات -كما سيأتي بيان ذلك-. وقد اعتنى العلماء والأئمة بهذا الحديث قديماً وحديثاً، من ناحية جمع طرقه وإثبات تواتره، واستنباط مسائل علوم الحديث منه فقط، دون البحث في مسائله العقدية العظيمة المتعلقة بأشرف العلوم وأجلها وأوجبها مطلباً وهو علم التوحيد، لأنه مفتاح الطريق إلى الله ﷻ وأساس الشرائع [1]، فلا شك أنه أشرف العلوم وأفضلها [2].

وكثير ممن تكلم على هذا الحديث اعتنى -كما تقدم- بحصر طرقه، وإثبات تواتره، وبحث مسائل علم أصول الحديث منه، وهذا بلا شك خير عظيم، والأمة بحاجة إلى مثل ذلك، لكن التركيز على بحث ودراسة واستنباط مسائل العقيدة وفق مذهب أهل السنة والجماعة من هذا الحديث، من أوجب الواجبات وأهم المهمات.

---

(١) مستفاد بنحوه من كلام الأخ د/ محمد العلي في مقدمة بحثه: حديث: "احفظ الله يحفظك"، دراسة عقدية، ص١.

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٥، وعلم التوحيد د/ عبد العزيز الربيعة، ص٣١.

لأجل ذلك استخرت الله ورأيت المساهمة في نشر عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال دراسة مسائل العقيدة في هذا الحديث ببحث عنوانه: حديث: **"نضّر الله امرءا سمع مقالتي.."** (دراسة عقدية).

أهميـة الموضـوع :

١- أهمية هذا الحديث الجليل العظيم [1].

٢- شمول هذا الحديث لكثير من مسائل العقيدة، والتي يقل أن تجتمع في حديث واحد، كما في هذا الحديث العظيم.

٣- أهمية ربط طلاب العلم والباحثين في مسائل العقيدة والرد على المبتدعة بالأحاديث النبوية، فلا شك أن علم التوحيد أشرف العلوم وأجلها، وأصل هذا العلم متلقى من كتاب الله -تعالى- وسنة نبيه ﷺ، فمن الأهمية بمكان استنباط أصول العقيدة من كلام المصطفى ﷺ ودراستها والعناية بها.

٤- أن هذا الحديث -كما قال العلامة عبد المحسن العباد- يتضمن الدعوة المباركة الميمونة التي خص بها رسول الله ﷺ من سمع حديثه وبلّغه كما سمعه، ففيه البشارة للمشتغلين بالسنة، والحث على زيادة العناية بها، ومضاعفة

---

(١) سيأتي في التمهيد بيان ذلك.

الجهود في حفظها، والتفقه فيها، ونشرها[1]. ومن أهم أوجه العناية بالسنة، والتفقه فيها : استخراج أصول العقيدة ومسائلها منها، وبحثها، والرد على المبتدعة.

٥- أن هذا الحديث مع عظيم قدره، ورفيع مكانته، لم يبحثه أحد من جهة العقيدة، بل اقتصر البحث فيه على جمع طرقه وإثبات تواتره، ودراسة مسائل علم الحديث منه.

الخطة العامة للبحث

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة، وفيها بيان أهمية الموضوع، والخطة العامة للبحث.

التمهيد، وفيه الآتي:

١- إثبات صحة الحديث.

٢- شرح موجز للحديث.

٣- أهمية الحديث.

الفصل الأول: الإخلاص، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإخلاص لغة واصطلاحاً.

---

(١) مقدمة: دراسة حديث "نضّر اللّه امرءا سمع مقالتي" ص٧.

المبحث الثاني: أهمية الإخلاص، وفوائده.

المبحث الثالث: العلاقة بين الإخلاص والصدق.

الفصل الثاني: مناصحة ولي الأمر وطاعته، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالنصيحة.

المبحث الثاني : مناصحة ولي الأمر وضوابطها.

المبحث الثالث: طاعة ولي الأمر.

الفصل الثالث: لزوم الجماعة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأدلة على وجوب لزوم الجماعة.

المبحث الثاني: المراد بلفظ الجماعة.

الفصل الرابع: مباحث عقدية أخرى، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حجية خبر الآحاد في العقيدة.

المبحث الثاني: صفة الرحمة وصفة اليد لله سبحانه وتعالى.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من الدنيا.

المبحث الرابع: دخول الأعمال في مسمى الإيمان والإسلام.

الخاتمة، وفيها أبرز النتائج التي توصلت إليها في البحث.

وأتبعت البحث بفهرسي المصادر والموضوعات.

وهذا جهد المقل أقدمه، فما كان من صواب فمن الله ﷻ، وهو المحمود على إحسانه وتوفيقه، وما كان من خطأ فمن نفسي المقصرة والشيطان، وأدعو الله ﷻ أن تشملني دعوة

النبي ﷺ فينظّر الله وجهي وقلبي وسائر أعمالي. والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وكتبه

د. عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالمحسن التركي

الأستاذ المشارك في كلية أصول الدين

قسم العقيدة



تمهيد :

أولاً : إثبات صحة الحديث

هذا الحديث ثبت برواية عدد من الصحابة:

١ - عن ابن مسعود رضي الله عنه[1].

---

(١)أخرجه أحمد في المسند ٤٣٧/١ وابن ماجه في سننه ٢٣٢، والخطيب في الكفاية في علم الرواية ١٧٣، وفي شرف أصحاب الحديث ص١٠، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٤٥، والترمذي في السنن ٢٦٥٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأبو يعلى في مسنده ٥١٢٦ و٥٢٩٦، والشاشي ٢٧٦، والحاكم في معرفة علوم الحديث ٣٢٢، وابن النجار كما في الكنز، للهندي ٢٢٢/٥، وابن حبان في صحيحه ٦٩ و٦٦ و٦٨، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ٦و٧و٨، وأبو نعيم في الحلية ٣٣١/٧، وقال: صحيح ثابت، والبيهقي في الشعب ١٧٣٨، والدلائل ٥٤٠/٦، وأبو عمرو المديني في جزئه الذي جمع فيه أحاديث في حجة الوداع، لوحة٢. كل ما تقدم بلفظ: " نضر اللّه امرءا سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرب مبلغ أحفظ له من سامع" .

وعن ابن مسعود نحوه بزيادة: " ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل للّه، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم "، أخرجه الترمذي ٢٦٥٨، بإسناد صحيح، والشافعي في الرسالة ٤٠١ رقم ١١٠٢ بإسناد صحيح، والبغوي في شرح السنة ٢٣٦/١ (١١٢)، والعقيلي كما عزاه إليه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٤٠/١، وأبو نعيم في أخبار أصبهان ٩٠/٢، والبيهقي في المدخل كما مشكاة المصابيح ٧٨/١، وفي معرفة السنن والآثار ٤٤. وذكره السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له بالصحة (٩٢٦٣)، قال المناوي في فيض القدير: قال ابن حجر في تخريج المختصر: حديث مشهور، خرج في السنن أو بعضها

٢- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه[1].

من حديث ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وجبير بن مطعم، وصححه ابن حبان، والحاكم، وذكر أبو القاسم بن منده في تذكرته أنه رواه عن المصطفى ﷺ أربعة وعشرون صحابياً، ثم سرد أسماءهم، وقال عبد الغني في الأدب: تذاكرت أنا والدارقطني طرق هذا الحديث فقال: هذا أصح شيء روي فيه: الفيض ٦/٢٨٤. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ١/٤٥ (١٨٩) والمشكاة ٢٣٠.
وثبت بزيادة: " فإن رحمة الله تحيط من ورائهم " عند الخطيب البغدادي في الكفاية ٢٩ بإسناد جيد. وبلفظ: " رحم الله امرءا سمع مني حديثاً.. " عند ابن حبان في صحيحه ٦٧ بإسناد صحيح.

(١) حيث خرج رضي الله عنه من عند مروان بن الحكم نحواً من نصف النهار، فقيل له: ما بعث إليه الساعة إلا لشيء سأله عنه، فقمت إليه فسألته، فقال: أجل، سألنا عن أشياء سمعتها من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ثم ذكر الحديث. أخرجه أحمد في المسند ٥/١٨٣ بإسناد صحيح، وفي الزهد ٣٣، والدارمي في السنن ٢٢٩، وأبو داود في السنن ٣٦٦٠ (مختصراً)، والترمذي في السنن ٢٦٥٦ (مختصراً). وابن حبان في صحيحه ٦٧، وأبو عمرو المديني لوحة ٣، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ٣و٤، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/٣٥ و٣٩، والخطيب مختصراً في الفقيه والمتفقه ٢/٧١، وفي شرف أصحاب الحديث ٢٤، والبيهقي في الشعب ١٧٣٦، وابن ماجه مختصراً في السنن ٤١٠٥، قال في الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات. وأبو داود الطيالسي ٦١٨، والطبراني في الكبير ٤٩٢٤ و٤٩٢٥، وفي الأوسط ٧٢٦٧، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٣٣١٣، وفي السلسلة الصحيحة ٩٥٠.
قال الحافظ ابن حجر: حديث زيد بن ثابت هذا صحيح. نقله المناوي في الفيض ٦/٢٨٥.

٣- عن جبير بن مطعم ﵁[1].

٤- عن أنس بن مالك ﵁[2].

٥- عن النعمان بن بشير ﵁[3].

٦- عن أبي سعيد الخدري ﵁[4].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/٨٠و٨٢، وابن ماجه ٢٣١، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/١٠- ١١، وابن حبان في المجروحين ١/٤- ٥، والحاكم ١/٨٧، والدارمي ١/٧٤- ٧٥، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ١٦٠١، والطبراني في الكبير ١٥٤١ و١٥٤٢، والقضاعي في مسند الشهاب ٢٤٢١، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ٢٥، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٤٧، وأبو عمرو المديني لوحة ٣، والحديث صحيح، صححه الألباني في صحيح ابن ماجه ١/٤٥ (١٨٨).

وبلفظ: طاعة ذوي الأمر بدل مناصحة ولي الأمر عند أحمد في المسند ٤/٨٢، والحاكم ١/٨٧، وصححه ووافقه الذهبي، وأبو يعلى ٧٤١٣، والدارمي في السنن ١/٧٥، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/٤١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٢٥ بإسناد حسن، وابن ماجه في السنن ٢٣٦، والبيهقي في الشعب ٧٥١٤، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/٤٢، والضياء في المختارة ٢٣٢٨ و٢٣٢٩، والطبراني في الأوسط ٩٤٤٠، وابن عدي في الكامل ٤/١٥٨٤، وأبو عمرو المديني لوحة ٦و٧، وابن عساكر في تاريخه ١٥/٣٤، والدارقطني في الأفراد - كما في الكنز- ٥/٢٢٢، وابن جرير في تهذيب الآثار - كما في الجامع الكبير للسيوطي- ٣/٣٣٣.

(٣)أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٨٨، وصححه ووافقه الذهبي، وأبو عمرو المديني لوحة ٧، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ٩.

(٤) أخرجه البزار، - كما في كشف الأستار- ٢١٤١، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ٥، وأبو نعيم في الحلية ٥/١٠٥، وأبو عمرو المديني

٧- عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما- [١].

٨- عن بشير بن سعد ﷺ (والد النعمان بن بشير) [٢].

٩- عن معاذ بن جبل ﷺ [٣].

١٠- عن أبي هريرة ﷺ [٤].

١١- عن أبي الدرداء ﷺ [٥].

١٢- عن ابن عباس –رضي الله عنهما- [٦].

١٣- عن أبي قرصافة ﷺ [٧].

لوحة ٤ بإسناد حسن، وفيه إثبات صفة اليد لله –تعالى- ولفظه: " فإن يد الله –تعالى- على الجماعة ".

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه ٣٣٣/٨، وفي الكفاية ١٩٠.

(٢) أخرجه أبو عمرو المديني لوحة ٦، والطبراني في الكبير ١١٢٤، وابن حبان في المجروحين ٢١٧/٢، وابن عساكر في تاريخه ١٤٥/١٠.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٠٨/٩، والطبراني في الكبير ٢٠ (١٥٥)، وفي مسند الشاميين ٢٢١٠، والأوسط ٢٣، والقضاعي في مسند الشهاب ١٧٣٠، وابن عساكر في تاريخه ٤٣٨/٤٦.

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه ٣٣٧/٤، وابن النجار في تاريخ بغداد - كما في الكنز للهندي- ٢٢٢/٥، والديلمي - كما في الكنز- ٢٢٢/٥.

(٥) أخرجه الدارمي في السنن ٢٣٠.

(٦) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ٩، والذهبي في تذكرة الحفاظ ١٤٤/٣.

(٧) أخرجه الطبراني، في الصغير ١٠٩/١، والأوسط ٣٠٩٤.

١٤- عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- [1].

١٥- عن ربيعة بن عثمان التيمي ﷺ [2].

١٦- عن زيد بن خالد الجهني ﷺ [3].

١٧- عن عائشة -رضي الله عنها- [4].

١٨- عن سعد بن أبي وقاص ﷺ [5].

١٩- عن شيبة بن عثمان ﷺ [6].

٢٠- عن عبيد بن عمير بن قتادة ﷺ [7].

وروي عن عمر، وعثمان، وعلي -رضي الله عنهم- [8] وعن أبي بن كعب، وأبي أمامة -رضي الله عنهما- [9].

(١) أخرجه الطبراني، في الأوسط ٥٢٨٨.
(٢) عند ابن منده - كما في الإصابة لابن حجر- ١/٤٩٦.
(٣) كما في تاريخ دمشق ٢٣١/٢١، وعند الحاكم - كما في فيض فيض القدير، للمناوي- ٢٩/٤.
(٤) أخرجه الخطيب في المتفق والمفترق - كما في كنز العمال- العمال- ٢٢١/٥.
(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط ٧٠١٦.
(٦) أخرجه الطبراني في الكبير ٧١٩٤.
(٧) أخرجه الطبراني في الكبير ١٧ (١٠٦).
(٨) كما في المستدرك للحاكم ٢١/١.
(٩) كما في جامع التحصيل لأحكام المراسيل للعلائي ص٥٢.

وقد بيّن العلماء والأئمة صحة الحديث وتواتره. قال الحافظ ابن حجر[1]: حديث زيد بن ثابت هذا صحيح... وقال في موضع آخر: صحيح المتن[2]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[3] -رحمه الله-: إنه حديث مشهور [4]. وقال الحاكم[5]: إنه حديث مشهور وإن لم يخرج في الصحيحين[6]. وقال بعد تصحيحه الحديث برواية جبير بن مطعم : هذا حديث صحيح

---

(١) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل، ولد سنة ٧٧٣هـ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ. ينظر: الضوء اللامع للسخاوي ٣٦/٢- ٤٠، والبدر الطالع، للشوكاني ٨٧/١، وحسن المحاضرة، للسيوطي ٢٠٦/١، ومعجم المؤلفين، لكحالة ٢١٠/١.

(٢)نقله المناوي في فيض القدير ٢٨٥/٦.

(٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله تقي الدين، الدين، شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية، ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفي سنة ٧٢٨هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي ٢٧٨/٤، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٩٥/١٨، وفوات الوفيات، للكتبي ٣٥/١، ومعجم المؤلفين ١٦٣/١.

(٤) مجموع الفتاوى ١٨/١.

(٥) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، الإمام المحدث أبوعبدالله الحاكم النيسابوري الشافعي، ولد سنة ٣٢١، وتوفي سنة ٤٠٥هـ. ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب ٤٧٣/٥، وطبقات الشافعية، للسبكي ٦٤/٣، وتذكرة الحفاظ ٢٢٧/٣، ومعجم المؤلفين ٤٥٣/٣- ٤٥٤.

(٦) معرفة علوم الحديث ص٩٢.

على شرط الشيخين قاعدة من قواعد أصحاب الروايات ولم يخرجاه[1].

كما أكد العلماء على بيان كثرة طرقه وتواتره، قال العلائي[2] -عن الحديث-: له طرق كثيرة عن جماعات من الصحابة، منهم ابن مسعود، وجبير بن مطعم، وزيد بن ثابت، والنعمان بن بشير، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عمرو، وأنس، وابن عباس، وعائشة، وأبو هريرة، وأبو أمامة، وأبي بن كعب، وجابر بن عبد الله، وربيعة بن عثمان، وأبو قرصافة، وغيرهم، وأجود أسانيده من حديث الأربعة المبدوء بذكرهم[3].

وقال المنذري[4] -بعد ذكره لورود الحديث عن عدد من الصحابة-: وبعض أسانيدهم صحيح[5].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١/٨٧.

(٢) هو خليل بن كيكلدي بن عبدالله، الإمام الحافظ أبو سعيد العلائي الشافعي، ولد سنة ٦٩٤هـ، وتوفي سنة ٧٦١هـ. ينظر: الدرر الكامنة ٢/٩٠- ٩٢، وطبقات السبكي ٦/١٠٤، والبدر الطالع ١/٢٤٥، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد ٦/١٩٠.

(٣) جامع التحصيل ص٥٢.

(٤) هو عبد العظيم بن عبد القوي بن عبدالله بن سلامة، الشيخ العلامة المحدث أبو محمد زكي الدين المنذري، ولد سنة ٥٨١هـ، وتوفي ٦٥٦هـ. ينظر: طبقات السبكي ٨/٢٥٩، والبداية والنهاية ١٧/٣٧٨، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٢٠، ومعجم المؤلفين ٢/١٧١.

(٥) الترغيب والترهيب ١/٥٤.

وقد ذكره ضمن المتواتر: السيوطي[1] في كتابه: "الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة"[2]. والشيخ الكتاني[3] في "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"[4]، وغيرهم[5].

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر، الشيخ العلامة جلال الدين أبو الفضل السيوطي الشافعي، ولد سنة ٨٤٩هـ، وتوفي سنة ٩١١هـ. ينظر: الضوء اللامع ٦٥/٤، والشذرات ٥١/٨، والبدر الطالع ٣٢٨/١، ومعجم المؤلفين ٨٢/٢- ٨٣.

(٢) ص ٥ .

(٣) هو محمد بن جعفر بن إدريس بن محمد، الشيخ المحدث أبوعبدالله الكتاني، ولد سنة ١٢٧٤هـ، وتوفي سنة ١٣٤٥هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي ٣٠٠/٦، ومعجم المؤلفين ١٩٢/٣.

(٤) ص ٢٤.

(٥) عزاه السيوطي إلى ستة عشر صحابياً، وزاد الكتاني عليه ثلاثة، وألف الشيخ أبو الفيض أحمد بن الصديق الغماري كتاباً سماه المسك التبتي بتواتر حديث " نضر الله امرءا سمع مقالتي ". ذكره أخوه عبد العزيز الغماري في إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة مما وقع من الزيادة في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة ص٥٢. وعدد الصحابة عندهم عشرون صحابياً. بينما ذكر السيوطي في تدريب الراوي ١٧٩/٢ : أن هذا الحديث جاء من رواية نحو ثلاثين صحابياً. قال الشيخ عبد المحسن العباد: لكنه لم يذكر أسماءهم، وهو رقم تقريبي لا تحديدي، كما يُستفاد من تعبيره بكلمة نحو. دراسة حديث "نضر الله امرءا.." ص٢٣. وينظر في الحديث وطرقه وتواتره: مفتاح الجنة، للسيوطي ص٨، وتحفة الطالب، لابن كثير ٢١٥، ومصباح الزجاجة، للكتاني ٣٢/١.

ثانيًا : شـرح موجز للحديث

من رحمة الله –سبحانه وتعالى- بعباده وفضله عليهم، وإحسانه إليهم، أن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم ما أنزل إليهم من ربهم، ويبيّن لهم المنهج السوي، والصراط المستقيم الذي من سلكه فاز بسعادة الدنيا والآخرة. وقد قام النبي ﷺ بأعباء الرسالة خير قيام، فبشر وأنذر، ودلّ على كل خير، وحذر من كل شر، وبلّغ البلاغ المبين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال ﷺ: " أيم الله[1] لأتركنكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها سواء " قال أبو الدرداء رضي الله عنه : صدق الله ورسوله، فقد تركنا على مثل البيضاء " [2] ، وقال أبو ذر: لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً [3].

---

(١) أيم الله: لفظ من ألفاظ القسم.والعرب تقول:أيم الله وهيم الله، الأصل:ايمن الله، وقلبت الهمزة هاء، فقيل:هيم الله، وربما اكتفوا بالميم وحذفوا سائر الحروف، فقالوا :م الله ليفعلن كذا ،وهي لغات كلها ،والأصل:يمين الله وايمن الله.ينظر:تهذيب اللغة للأزهري ٥٢٦/١٥ ، الصحاح للجوهري٢٢٢١/٦- ٢٢٢٢ ، اللسان ٤٦٢/١٣.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم، في السنة ٤٧/١ ، ص٦٦ ، وابن ماجه، في المقدمة ٥ ، قال محقق السنة لابن أبي عاصم: صحيح لغيره.

(٣) أخرجه أحمد ، في المسند ١٥٣/٥ و١٦٢ ، والطيالسي، في مسنده (٤٧٩)، ووكيع، في الزهد ٥٢٢ ، وابن سعد ، في الطبقات ٣٥٤/٢ ، والبزار، في مسنده ١٨٩٧ ، وابن حبان ٦٥ ، والطبراني،

وقد أمر النبي ﷺ أمته بالأخذ عنه، والتلقي منه، قال: "صلوا كما رأيتموني أصلي" [1]، وقال: " خذو عني مناسككم"[2]، وقال: " بلِّغوا عني ولو آية، وحدثو عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار " [3]،[4].

وقد دعا النبي ﷺ لمن سمع كلامه ووعاه وبلّغه بالنضرة، وهي البهجة ونضارة الوجه وتحسينه[5]، فقال: " نضر الله أمرءا سمع مقالي فوعاها وحفظها..". فقد دعا النبي ﷺ لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلّغه، وهذه هي مراتب العلم، **أولها وثانيها:** سماعه وعقله، فإذا سمعه وعاه بقلبه، أي عقله واستقر في قلبه كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه، وكذلك عقله هو بمنزلة عقل البعير والدابة ونحوها، حتى لا تشرد وتذهب، ولهذا كان الوعي والعقل قدراً زائداً على مجرد إدراك المعلوم. **المرتبة الثالثة:** تعاهده وحفظه حتى لا ينساه

في الكبير ١٦٤٧، قال الحافظ في المطالب العالية ٢٨/٤ : رجاله ثقات. وحسّن محققو المسند الحديث.

(١) متفق عليه من حديث مالك بن الحويرث، فأخرجه البخاري رقم ٦٠٠٨ و٦٦٢٨ و٦٣١، ومسلم ٦٧٤.

(٢) أخرجه مسلم عن جابر ١٢٩٧ وغيره.

(٣) صحيح البخاري ٣٤٦١ عن عبد اللّه بن عمرو.

(٤) ينظر: دراسة حديث "نضر اللّه.." للشيخ عبد المحسن العباد ص١٧٥.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي ١٠٧/١٩، المحدث الفاصل ١٦٨.

فيذهب. **المرتبة الرابعة:** تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده، وهو بثه في الأمة، فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه، وهو معرض لذهابه، فإن العلم ما لم يُنفق منه ويعلم، فإنه يوشك أن يذهب، فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق. فمن قام بهذه المراتب الأربع؛ دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن، فإن النظرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان، وابتهاج الباطن به، وفرح القلب وسروره، والتذاذه به، فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه، ولهذا يجمع له -سبحانه- بين البهجة والسرور والنضرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾ (1)، فالنضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم. فالنعيم وطيب القلب يظهر نضارة في الوجه.

والمقصود أن هذه النضرة في وجه من سمع سنة رسول الله ﷺ ووعاها وحفظها وبلّغها، فهي أثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور الذي في قلبه وباطنه.

وقوله ﷺ : " رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه " تنبيه على فائدة التبليغ، وأن المبلَّغ قد يكون أفهم من المبلِّغ،

(1) سورة الإنسان 11.

فيحصل له في تلك المقالة ما لم يحصل للمبلِّغ، أو يكون المعنى أن المبلِّغ أفقه من المبلَّغ ، فإذا سمع تلك المقالة حملها على أحسن وجوهها، واستنبط فقهها وعلم المراد منها.

ولاشك أن تبليغ السنة من أشرف الأعمال، والأعمال كلها تحتاج في تصحيحها إلى الإخلاص لله ﷻ، وعقد العزم على النصح للمسلمين، ولزوم جماعتهم، " ولهذا عقّب ﷺ دعوته الميمونة المباركة لمبلّغي السنة، بما يدل على أهمية الإخلاص في الأعمال لله، والنصح للمسلمين، ولزوم الجماعة، فقال: "ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم". قال ذلك ﷺ لأن هذه الخصال الثلاث -كما سيأتي- تُستصلح بها القلوب وتهذب بها النفوس، وباستشعارها وعقد القلب عليها يكون المسلم جديراً بتحصيل الثواب الجزيل الذي يتفضل الله به على من شرفه بسماع حديثه ﷺ وتبليغه غيره "[1].

أما علة الجمع في هذا الحديث بين قوله ﷺ : " نضر الله امرءا.." وقولــه في الشطر الآخـر: " ثلاث لا يغـل عليهن.."، فالجواب أن ذلك يحتمل أحد وجهين:

(١) من كلام الشيخ عبد المحسن العباد، في كتابه دراسة حديث "نضر الله.." ص١٧٨.

الأول: أن النبي ﷺ لما حرّض سامع سنته على تبليغها وأدائها بيّن أن هناك خصالاً من شأنه أن ينطوي قلبه عليها، لأن كلاً منها محرِّض له على ذلك التبليغ.

الثاني: أن قوله ﷺ : "ثلاث لا يغل عليهن.." بيان للمقالة التي أكد في تبليغها بقوله: "نضر الله امرءا سمع مقالتي.." [1].

وقوله ﷺ : "**ثلاث لا يغل عليهن**[2] **قلب مسلم**.." أي لا يحمل الغل ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة، فإنها تنفي الغل والغش، وهو فساد القلب وسخائمه، فالمخلص لله؛ إخلاصه يمنع غل قلبه، ويُخرجه ويُزيله جملةً، لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى مرضاة ربه، فلم يبق فيه موضع للغل والغش، كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ

(١) قاله الحافظ ابن حجر، ونقله القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤٨٧/١.

(٢) قال السيوطي: قوله: "عليهن" حال من القلب الفاعل. فيكون المعنى: قلب الرجل المسلم حال كونه متصفاً بهذه الخصال الثلاث لايصدر عنه الخيانة، والحقد، والشحناء، ولا يدخله ما يزيله عن الحق. ويحتمل أن يكون قوله: "عليهن" متعلقاً بقوله: "يغل" أي لا يخون في هذه الخصال. أي من شأن قلب المسلم أن لا يخون ولا يحسد فيها، بل يأتي بها بتمامها بغير نقصان في حق من حقوقها، أ.هـ من شرح سنن ابن ماجه ص٢١.

﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[1]، فلما أخلص لربه صرف عنه دواعي السوء والفحشاء، فانصرف عنه السوء والفحشاء. ولهذا لما علم إبليس أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص، استثناهم من شرطته التي اشترطها للغواية والإهلاك، فقال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[2]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾[3]، فالإخلاص هو سبيل الخلاص، والإسلام هو مركب السلامة، والإيمان خاتم الأمان.

وقوله: " **ومناصحة أئمة المسلمين** " هذا أيضاً منافٍ للغل والغش، فإن النصيحة لا تجامع الغل، إذ هي ضده، فمن نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغل.

وقوله: " **ولزوم جماعتهم** " هذا أيضاً مما يطهر القلب من الغل والغش، فإن صاحبه للزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسره ما يسرهم، وهذا بخلاف من انحاز عنهم، واشتغل

---

(١) سورة يوسف ٢٤.

(٢) سورة ص ٨٢- ٨٣.

(٣) سورة الحجر ٤٢.

بالطعن عليهم، والعيب والذم لهم، كفعل الرافضة[1]، والخوارج[2]، والمعتزلة[3]، وغيرهم، فإن قلوبهم ممتلئة غلاً وغشاً.

---

(١) ويسمون الإمامية والاثني عشرية. وسموا بالرافضة، لرفضهم إمامة زيد بن علي بن الحسين لما طلبوا منه البراءة من أبي بكر وعمر، فأظهر الترحم عليهما، فقالوا: إذاً نرفضك. فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة. وهم فرق كثيرة، فمنها الغلاة والكفرة، ومنها غير الغلاة. وأقوالهم كثيرة، ومن قول غلاتهم من يقول بتناسخ الأرواح، ومن يقول بفناء الجنة والنار، ومن يكفر جميع الصحابة إلا ستة أنفس، ومن يدعي الألوهية لعلي. واستقر الأمر بالرافضة على سب جميع الصحابة والوقوع في عائشة –رضي الله عنها- والقول بعصمة الأئمة، وغيرها من البدع. ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي ٢١- ٢٣، والملل والنحل، للشهرستاني ١/١٦٢- ١٦٥، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي ٥٣.

(٢) هم بالأصل من خرج على علي بن أبي طالب ﷺ لما حكّم الحكمين، وقالوا: لا حكم إلا لله، ولهم ألقاب أخرى كالحرورية، والمارقة، وغيرها، وقد افترقوا إلى ثمان عشرة فرقة وأصولها أربع: الأزارقة، والأباضية، والصفرية، والنجدات. ويقوم مذهب الخوارج على اعتقاد الخروج على الأئمة الظلمة، والتكفير بالمعاصي. ينظر: الملل والنحل ١/١٦١، والتنبيه والرد، للملطي ٦٢- ٦٩، والفرق بين الفرق ٨٢/٨٣، ومقالات الإسلاميين، للأشعري ١/١٦٨- ١٦٩.

(٣) سموا بذلك لأن واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري لما خالفوه في قضية مرتكب الكبيرة، ويلقبون بالقدرية، لنفيهم القدر السابق وزعمهم أنهم خالقو أفعالهم، ولهم أصول خمسة من اعتقدها فهو معتزلي: التوحيد، وقصدوا به نفي الصفات، والعدل، وقصدوا به إنكار القدر، والمنزلة بين المنزلتين، ويعنون بها أن صاحب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين الإسلام والكفر، والوعد والوعيد، وأوجبوا به على الله إنفاذ وعده ووعيده، والأمر بالمعروف، وضمنوه إلزام الناس بما يرونه معروفاً، والنهي عن

ولهذا نجد الرافضة أبعد الناس من الإخلاص، وأغشّهم للأئمة والأمة، وأشدهم بُعْداً عن جماعة المسلمين. فهؤلاء أشد الناس غلاً وغشاً بشهادة الرسول ﷺ والأمة عليهم، وشهادتهم على أنفسهم بذلك، فإنهم لا يكونون قط إلا أعواناً وظهراً على أهل الإسلام، فأي عدو قام للمسلمين كانوا أعوان ذلك العدو وبطانته[1]، وهذا أمر قد شاهدته الأمة منهم، ومن لم يشاهد فقد سمع منه ما يصم الآذان ويشجي القلوب.

وقوله: "**فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**" هذا من أحسن الكلام وأوجزه وأفخمه معنى، شبّه دعوة المسلمين بالسور

المنكر، وضمنوه جواز الخروج على أئمة الجور. ينظر: الملل والنحل ٤٣/١، والتنبيه والرد ٤٩- ٥٦، والفرق بين الفرق ١١٤- ١١٦، والبرهان للسكسكي ٢٧.

(١) من أمثلة هؤلاء الرافضة الأرجاس الأنجاس الوزير ابن العلقمي الرافضي. محمد بن أحمد بن محمد، مؤيد الدين الرافضي البغدادي، وزر للمستعصم فلم يكن وزير صدق، وكان رافضياً خبيثاً رديئ الطوية على الإسلام وأهله، وقد حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لكثير ممن قبله من الوزراء، ثم مالأعلى الإسلام وأهله التتار، حتى جاءوا فجاسوا خلال الديار، وكان أمراً مفعولاً. ثم حصل له من الإهانة في أيامهم، والقلة، والذلة، وزوال ستر الله ما لا يحدَ ولا يوصف، توفي في نفس السنة التي سقطت فيها بغداد ٦٥٦هـ. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣٧٩/١٧- ٣٨٠، وسير أعلام النبلاء، للذهبي ٣٦١/٢٣، والعبر له ٢٣٥/٥، والوافي بالوفيات، للصفدي ١٨٤/١.

والسياج المحيط بهم، المانع من دخول عدوهم عليهم، فتلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام، وهم داخلونها لما كانت سوراً وسياجاً عليهم، أخبر أن من لزم جماعة المسلمين أحاطت به تلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام كما أحاطت بهم، فالدعوة تجمع شمل الأمة، وتلم شعثها، وتحيط بها، فمن دخل في جماعتها أحاطت به وشملته [1].

وقد ذكرت هذه الجملة بعد الخصلة الثالثة، وهي لزوم الجماعة، لبيان الفائدة التي يستفيدها الملازم للجماعة، وهي أن يكون له حظ ونصيب من دعواتهم، والمعنى أن دعوة المسلمين تحدق بهم، وتحفّهم من جميع جوانبهم، فمن لازم الجماعة كان له نصيب في دعوات المسلمين الصادرة من أفرادهم لعمومهم [2].

فهذه الخصال الثلاث المذكورة في الحديث تُستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الدغل والفساد [3].

وجملة: **"ومن كانت الدنيا همه، نزع الله الغنى من قلبه، وجعل فقره بين عينيه، وشتت الله عليه ضيعته، ولم يأته من الدنيا إلا ما رزق "**، هذه الجملة ترجع إلى الخصلة الأولى من

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم ١/٧٤- ٧٦.

(٢) دراسة حديث "نضر الله.." ص١٩٥.

(٣) جامع الأصول، لابن الأثير ١/٢٦٧- ٢٦٨، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب ١/٢٣٢، والنهاية، لابن الأثير ١/٣٣١، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٧/٣٥.

الخصال الثلاث، وهي إخلاص العمل لله، فمن لم يخلص عمله لله، وكان همه الدنيا، فإن الله يعاقبه في الدنيا بهذه العقوبات، فيسلب قلبه الغنى، ويحول بينه وبين الراحة والطمأنينة، فتستولي عليه الهموم، ويبدله بهذا الغنى الذي نزع من قلبه أن يجعل فقره بين عينيه، فيكون دائماً أمامه، لا يغيب عنه لحظة، فقلبه خالٍ من الغنى، وعينه لا ترى إلا الفقر، قد مزّق الله شمله، وأحاطت به النكبات من كل جانب.

وجملة " **لم يأته من الدنيا إلا ما رزق** " أي أن ما يصل من الرزق إلى هذا الذي عوقب بهذه العقوبات، إنما هو الرزق الذي كتبه الله له، كما كتب للبهائم وكل شيء حي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1].

ومن آتاه الله الدنيا ووسع عليه في الرزق ممن أخلص لله العبادة، فهو أيضاً مما كتب الله، وكل كائن فهو بمشيئة الله، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. فالأول حصل له من الرزق كالذي حصل للبهائم، والثاني حصل له الرزق ووسع عليه فيه، جزاء إخلاصه العمل لله وإرادته الآخرة.

(١) سورة هود ٦.

ولا تنافي بين هذا الحديث وما نشاهده من واقع الكثير من أعداء الله الذين فتحت عليهم الدنيا، فإنهم وإن كانوا كذلك؛ فقلوبهم خالية من الغنى، وخوف الفقر لا يغيب عن أعينهم، وليس عندهم ما عند المؤمن بالله من أنس النفوس وراحة القلوب، وما أعطاهم الله من المال هو مع ذلك زيادة ابتلاء وامتحان لهم، وتعجيل للطيبات التي لا حظ لهم فيها إلا في الدنيا.

وجملة: " **ومن كانت الآخرة همه، جعل الله الغنى في قلبه، ونزع فقره من بين عينيه، وكف عليه ضيعته، وأتته الدنيا وهي راغمة** ". هذا هو جزاء من أخلص العمل لله، وكانت الآخرة همه، وهو مقابل تماماً لعقوبة من لم يخلص العمل لله، وكانت الدنيا همه، يملأ الله قلبه بالغنى، ويُبعد الفقر عنه، ويلم شعثه، ويسوق إليه الدنيا، من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب، ولا تنافى بين ذلك وما نشاهده من واقع بعض المؤمنين المخلصين لله من قلة ذات اليد، وعدم السعة في الرزق، فإن الغنى في الحقيقة غنى القلب، وقد حصلت لمن أخلص لله وأراد الآخرة؛ وما حصل للمؤمن مع ذلك من الدنيا هو خير كثير، وفي ذلك أيضاً ابتلاء وامتحان له [1].

(١) دراسة حديث " نضر الله.. " للعباد ص١٩٥- ١٩٧، وينظر في شرح الحديث: التمهيد، لابن عبد البر ٢١/ ٧٦، وشرح سنن ابن ماجه، للسيوطي ٢١ و٢١٩، والمرقاة شرح المشكاة، للقاري ١/ ٤٨٧،

أهمية الحديث

تبرز أهمية هذا الحديث العظيم في عدة أمور :

١- اهتمام العلماء والأئمة بهذا الحديث، وإثبات تواتره، والبحث في طرقه. وقد تقدم نحو ذلك في سياق الكلام عن صحة الحديث وتواتره. بل إن بعض العلماء أفردوا مؤلفات خاصة في هذا الحديث، ومنهم:

٢- أبو عمرو بن حكيم الأصفهاني[١]. ألّف جزءا فيه طرق هذا الحديث مع أحاديث أخرى في حجة الوداع[٢].

٣- كتاب فيه طرق الحديث ألّفه الخطيب البغدادي[٣]، كما ذكره في كتابه "الكفاية في علم الرواية"[٤].

ومعالم السنن، للخطابي ٦٨/٤، وجامع الأصول، لابن الأثير ١٨/٨، وشرح السنة، للبغوي ٢٣٦/١، وفيض القدير، للمناوي ٢٨٤/٦، والنهاية، لابن الأثير ٣٨١/٣.

(١) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حكيم، الإمام العالم أبو عمرو المديني الأصبهاني، محدث رحّال صدوق، كان عالماً أديباً فاضلاً حسن المعرفة بالحديث. توفي في جمادى الآخرة سنة ٣٣٣هـ. ينظر: السير ٣٠٦/١٥- ٣٠٧، والعبر ٢٢٩/٢، وذكر أخبار أصفهان، لأبي نعيم ١٢٢/١.

(٢) وهو مخطوط بالظاهرية مجموع ٧٤ ق ٩١- ٩٨ وقد طبع.

(٣) هو أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد، الإمام العلامة أبوبكر البغدادي الشافعي، ولد سنة ٣٩٢هـ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ. ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان ٣٢/١، وطبقات السبكي ١٢/٣، وتذكرة الحفاظ ٣١٢/٣، وشذرات الذهب ٣١١/٣.

(٤) ص ٢٠٢.

٤- جزء فيه طرق الحديث للحافظ ابن حجر العسقلاني[1].

٥- المسك التبتي بتواتر حديث نضر الله امرءا سمع مقالتي. لأبي الفيض الغماري[2].

٦- دراسة حديث "نضر الله امرءا سمع مقالتي.." رواية ودراية للعلامة الشيخ عبدالمحسن الحمد العباد. وهو بحث متميز في بيان طرق الحديث ومروياته وإثبات تواتره، كما أنه درس مسائل علوم الحديث فيه. وقد استفدت من هذا الكتاب استفادة طيبة، فبارك الله في مؤلفه ونفع به ووفقه.

٢) بيان الأئمة لأهمية هذه الحديث واشتماله على أصول مهمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله-بعد ذكره الحديث وبيان شهرته-: فقد جمع في هذا الحديث بين الخصال الثلاث؛ إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة

---

(١) ذكره شاكر محمود عبد المنعم في كتابه "ابن حجر، مصنفاته، ودراسة في منهجه، وموارده في كتابه الإصابة" ٢١١/١ رقم ٧٦.

(٢) هو أحمد بن محمد بن الصديق بن أحمد، عالم صوفي أشعري، ولد سنة ١٣٢٠هـ. وتوفي سنة ١٣٨٠هـ. ينظر: مقدمة المداوي لعلل الجامع الصغير، وشرحي المناوي، للغماري ٥١/١- ١٠٠. وذكر الكتاب ونسبه له أخوه عبد العزيز الغماري في كتابه اتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة ص٥٢. وينظر: دراسة حديث "نضّر الله.." للعباد ص٤- ٦.

المسلمين. وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة.

وبيان ذلك أن الحقوق قسمان: حق لله وحق لعباده، فحق الله أن نعبده ولا نشرك به شيئاً، وهذا معنى إخلاص العمل لله، وحقوق العباد قسمان: خاص وعام؛ أما الخاص فمثل: بر كل إنسان والديه وحق زوجته وجاره، فهذه من فروع الدين، لأن المكلف قد يخلو عن وجوبها عليه، ولأن مصلحتها خاصة فردية.

وأما الحقوق العامة فالناس نوعان: رعاة ورعية، فحقوق الرعاة مناصحتهم، وحقوق الرعية لزوم جماعتهم؛ فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة، بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعاً، فهذه الخصال تجمع أصول الدين.

وقد جاءت مفسرة في الحديث الذي في الصحيح عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ : "الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة" قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[1]. فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله تدخل في حق الله وعبادته وحده لا شريك له، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم هي مناصحة

(١) صحيح مسلم رقم ٥٥.

ولاة الأمر ولزوم جماعتهم، فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة، وأما النصيحة الخاصة لكل واحد منهم بعينه، فهذه يمكن بعضها، ويتعذّر استيعابها على سبيل التعيين[1].

وقال ابن القيم[2]: لو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفاً، فإن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلّغه، وهذه هي مراتب العلم[3].

فالحديث له شأن عظيم في شريعة الإسلام[4]. وما أحسن ما قاله أبو طالب المكي[5] -بعد إيراده هذا الحديث-:

ومن اجتمعت فيه هذه الخصال في زماننا فهو من أولياء الله ﷻ[6].

---

(١) مجموع الفتاوى ١/١٨- ١٩.

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله المشهور بابن القيم، ولد سنة ٦٩١هـ، ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به، وتوفي سنة ٧٥١هـ. ينظر: الدرر الكامنة ٣/٤٠٠، والوافي بالوفيات، للصفدي ٢/٢٧٠، والبدر الطالع ٢/١٤٣، والشذرات ٦/١٦٨.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/٧٤.

(٤) ينظر: الأمر بلزوم جماعة المسلمين، لعبد السلام بن برجس العبد الكريم ص٢٨.

(٥) هو محمد بن علي بن عطية، الإمام الزاهد شيخ الصوفية أبو طالب المكي. كان مجتهداً في العبادة، لكن له بعض العبارات الغريبة، مثل بعض الصوفية، توفي سنة ٣٨٦هـ. ينظر: السير ١٦/٥٣٦، وتاريخ بغداد، للخطيب ٣/٨٩، والمنتظم، لابن الجوزي ٧/١٨٩، والشذرات ٣/١٢٠.

(٦) قوت القلوب ٢/٢٧٣.

٣- من أهم الأمور التي تبرز عظم مكانة هذا الحديث وعلو قدره؛ حرص الأئمة والعلماء قديماً وحديثاً على الاستدلال به في تقرير المسائل العقدية.

ولأن هذا الأمر مما هو من صلب البحث؛ يحسن أن أذكر أمثلة على استدلال بعض العلماء به في مسائل العقيدة التي سأبحثها في هذا البحث.

أ- وجوب الإخلاص في الأعمال [1].

ب- أهمية المناصحة لولي الأمر [2].

جـ- وجوب طاعة ولي الأمر [3].

---

(١) احتج العلماء بهذا الحديث على أصل الإخلاص ومنهم: المنذري في الترغيب والترهيب ٢٣/١، وابن رجب في جامع العلوم والحكم ٦٩/١، والغزالي في إحياء علوم الدين ١٧٠/٤ و٣٧٦، وابن تيمية، في الفتاوى ٥٨/١٦، وابن القيم في المدارج ٩٠/٢، ومفتاح دار السعادة ٧١/١، والقشيري، في الرسالة ٩٥، والمكي، في قوت القلوب ١٠١/٢، والسيوطي، في الدر المنثور ٨٨/٥، وينظر: الكنز، للهندي ٤٤٢٧٥، والدعوة في صحيح البخاري، للقحطاني ٤٤٣/١.

(٢) احتج به كثير من العلماء ومنهم: ابن تيمية، في مجموع الفتاوى ٢/١ و ١٩٠/٩، و٥٢/٢٨ و٣٩١ و٧/٣٥، وفي السياسة الشرعية ١٦٩. وابن أبي عاصم، في السنة ٧٣١/٢- ٧٣٣، والخطيب في الفقيه والمتفقه ٤٩٠، وابن عبد البر، في التمهيد ٢٧٨/٢١، وابن رجب، في جامع العلوم والحكم ٧٨/١.

(٣) احتج به الكثير من العلماء ومنهم: الجصاص، في أحكام القرآن ٤٤٤/٤، واللالكائي، في شرح أصول الاعتقاد ١٧٥/١، وابن تيمية، في الفتاوى

د- لزوم الجماعة [1].

هـ- حجية خبر الآحاد [2].

و- الزهد في الدنيا وإيثار الآخرة [3].

ز- صفة الرحمة لله [4].

ط- دخول العمل في مسمى الإيمان والإسلام [5].

الكبرى -جمع مخلوف- ١٥٠/٦، والبخاري، كما في شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١٧٥/١- ١٧٦، والبيهقي في الاعتقاد ٢٤٥.

(١) احتج به الكثير من الأئمة والعلماء ومنهم: ابن أبي عاصم، في السنة ٩٤/١، والقرطبي، في تفسيره ٢٦٩/١، والبيهقي في الشعب ٧٢٥٤، وابن عبد البر، في التمهيد ٢٧٥/٢١ و٢٧٦ و٢٧٧، وفي الاستذكار ٥٧٨/٨، وابن تيمية في الفتاوى ٤١٠/٦، وفي منهاج السنة ٣٥٣/٨- ٣٥٤، وابن القيم في الفروسية ٢٦٩. وينظر أيضاً: أصول السرخسي ٢٩٩/١، والمحصول للرازي ١١٣/٤، وروضة الناظر لابن قدامة ١٣٣/١، وفتاوى علماء نجد الأعلام -فتوى لابن عتيق- ١٩/١.

(٢) ممن احتج به على ذلك: الشافعي في الرسالة ٤٠١، ونقله البيهقي في معرفة السنة والآثار ٧/١. والبيهقي في المعرفة ٧/١- ٨، وفي دلائل النبوة ٢٣/١، والخطيب في الكفاية ٢٩، والغزالي في المستصفى ١٢١، وابن حزم في الأحكام في أصول القرآن ١٥١، والسيوطي في التدريب ٧٤/١، وينظر: شرح نونية ابن القيم لابن عيسى ٢١٥/١، والأحكام للآمدي ١٠٦/٢.

(٣) ممن احتج به على ذلك: ابن حبان في صحيحه ٦٨٠، والإمام أحمد بن حنبل في الزهد ٣٣، وابن أبي عاصم في الزهد ١٦٣، وابن ماجه في سننه ٤١٠٥، والمنذري في الترغيب والترهيب ٨٧/٤، وغيرهم.

(٤) ينظر: صحيح ابن حبان ٦٧.

(٥) ينظر: جامع العلوم والحكم ١١٧/١، ومعارج القبول للحكمي ٦٤٨/٢.

الفصل الأول
الإخــلاص

المبحث الأول:

تعريف الإخلاص لغة واصطلاحاً، وحقيقته .

* **لغـة** : مصدر مأخوذ من كلمة خَلَصَ بالفتح، يخلص خلوصاً، وخلاصاً، إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم. وأخلصه وخلّصه، وأخلص لله دينه: أمحضه. وأخلص الشيء: اختاره. والمُخْلَص، الذي أخلصه الله جعله مختاراً ؛ خالصاً من الدنس، والخالص كالصافي، إلا أن الخالص ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه. وكلمة الإخلاص: التوحيد. والتخليص: التنجية من كل منشب، تقول: خلصته من كذا تخليصاً أي نجيته تنجية فتخلص [1].

" فكل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص منه؛ سمي خالصاً، ويسمى الفعل المصفّى المخلص: إخلاصاً. قال تعالى: ﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٢٩٢/٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري ١٣٩/٧ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ٧٩٦- ٧٩٧، والصحاح للجوهري ١٠٣٧/٣- ١٠٣٨ ، ومجمل اللغة لابن فارس ١- ٢٩٩/٢ ، والعين للخليل بن أحمد ٥١٥/١.

لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾ [1]، فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الدم، والفرث، ومن كل ما يمكن أن يمتزج به " [2].

*** اصطلاحاً :**

ذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله– أن عبارات العلماء في تعريف الإخلاص متنوعة، والقصد واحد، فقيل: هو إفراد الحق –سبحانه– بالقصد في الطاعة، وقيل: تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين، وقيل: التوقي عن ملاحظة الخلق حتى عن نفسك، والصدق التنقي من مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا بالإخلاص، ولا يتمان إلا بالصبر. ثم ذكر –رحمه الله– عدة تعريفات، وشرح بعدها قول صاحب المنازل [3]: الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب بقوله: أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس، إما طلب

---

(١) سورة النحل ٦٦.

(٢) من كلام الغزالي في إحياء علوم الدين –بشرح الزبيدي– ١٣/ ٩١- ٩٢.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد، الإمام القدوة، صاحب ذم الكلام، أبو إسماعيل الهروي الأنصاري، ولد سنة ٣٩٦هـ، وتوفي سنة ٤٨١هـ. ينظر: السير ١٨/ ٥٠٣، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ٢٤٧، والعبر ٣/ ٢٩٧، والبداية والنهاية ١٦/ ١١٢، والشذرات ٣/ ٣٦٥.

التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم، أو خدمتهم ومحبتهم وقضاء حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب، التي عَقْد متفرقاتها: هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائناً ما كان [1].

ومن التعريفات للإخلاص: ترك الرياء في الطاعات [2].

ومنها ما عرفه الغزالي[3] بقوله: الإخلاص يضاده الإشراك، فمن ليس مخلصاً فهو مشرك، إلا أن الشرك درجات، فالإخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية، والشرك منه خفي ومنه جلي، وكذا الإخلاص. والإخلاص وضده يتواردان على القلب، فمحله القلب، وإنما يكون ذلك في القصود والنيات، وقد ذكرنا حقيقة النية، وأنها ترجع إلى إجابة البواعث، فمهما كان الباعث واحداً على التجرد سمي الفعل الصادر عنه إخلاصاً، بالإضافة إلى المنوي، فمن تصدّق وغرضه محض الرياء، فهو مخلص، ومن كان غرضه محض

---

(١) مدارج السالكين ٢/٩١- ٩٢.

(٢) اللسان ٨/٢٩٢، والصحاح ٣/١٠٣٧، والقاموس ص٧٩٦.

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد، الشيخ العلامة أبو حامد الغزالي الشافعي المتكلم، عالم صوفي برع في علوم كثيرة، وكان خاتمة أمره الإقبال على طلب الحديث ومطالعة الصحيح. توفي سنة ٥٠٥هـ. ينظر: السير ١٩/٣٢٢، ووفيات الأعيان ٤/٢١٦، وطبقات السبكي ٦/١٩١، والشذرات ٤/١٠.

التقرب إلى الله -تعالى- فهو مخلص، ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله -تعالى- عن جميع الشوائب[1].

وعرفه ملا علي القاري[2] بقوله: تصحيح النية وتخليصها من الرياء والسمعة[3]. وعرفه الكفوي[4] بقوله: الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يُعبد المعبود بها وحده، وقيل: تصفية السر والقول والعمل[5].

ويروى أن الحواريين سألوا عيسى -عليه السلام- ما الإخلاص لله ؟ قال: الذي يعمل العمل لا يحب أن يحمده عليه أحد من الناس[6].

---

(١) إحياء علوم الدين -بشرح الزبيدي- ١٣/٩٢- ٩٣.

(٢) هو علي بن سلطان محمد الهروي القاري، نور الدين الحنفي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي بمكة سنة ١٠١٤هـ. ينظر: خلاصة الأثر للمحبي ٣/١٨٥، والبدر الطالع ١/٤٤٥، ومعجم المؤلفين ٢/٤٤٦.

(٣) شرح عين العلم ٢/٦٥.

(٤) هو أيوب بن موسى الحسيني، الشيخ أبو البقاء الكفوي، عالم لغوي. توفي سنة ١٠٩٤هـ. ينظر: هدية العارفين للبغدادي ١/٢٢٩، ومعجم المؤلفين ١/٤١٨.

(٥) الكليات ص٦٤.

(٦) الإخلاص لابن أبي الدنيا ص٣٤ رقم ٤.

قال العلامة ابن عثيمين –رحمه الله– : الإخلاص لله – تعالى– معناه أن يقصد المرء بعبادته التقرب إلى الله –سبحانه وتعالى– والتوصل إلى دار كرامته [1].

وخلاصة هذه التعريفات أن " الإخلاص: تصفية النية والعمل من جميع شوائب الشرك بأن لا يقصد بعمله طمعاً من مطامع الدنيا ولا رياءً ولا سمعةَ " [2].

*** حقيقة الإخلاص .**

حقيقته: توحيد المطلوب [3].

فهو التبري عن كل ما دون الله، وهذا له تعلقان :

الأول: تعلق بالعمل، أو من حيث كونه واقعاً يتعلق بحياة الناس ومواقفها، أو من حيث كونه يتعلق بسلوك الإنسان، من هذا القبيل نجد أن العمل الصادر عن الإنسان – أياً كان– إذا قَصَد به وجه الله، وظهرت الشواهد على ذلك، فإنه يعد عملاً مخلصاً، لأنه خالص من الشرك والرياء، والمراءاة والشهرة، لأن العمل الإنساني قد يشوبه

---

(١) فتاوى أركان الإسلام ص٥٩. وينظر: معارج القبول ٣٨٢/١، وأعلام السنة ٣٤.

(٢) من كلام العلامة الشيخ صالح الفوزان، في كتابه عقيدة التوحيد ص٥٦.

(٣) مدارج السالكين ٩٧/٢.

شـيء ما من ذلك، فإذا صفا عن شوبه وخلص منه، سمي خالصاً، فالإخلاص ينافي الإشراك، والرياء، والغش، والخداع، والاحتيال، والكذب، ولذا قد نجد -كما سيأتي- بينه وبين الصدق قرب معنى، وكذلك يمتد إلى معنى الصراحة، ويلتقي بمفهوم الوضوح والأمانة والصفاء .

وإذا كانت كل المعاني السابقة من رياء، وغش، وخداع، واحتيال، وكذب، تمتد إلى الشرك بمعنى ما، فإن من الشرك ما هو خفي وما هو جلي، وكذا الإخلاص. وكلاهما يرد على قلب المسلم، ويكون ذلك في المقصود والنية، ولذا يأتي الفعل على قدر النية؛ إما مُخْلَصاً أو غير مُخْلَص، فمن كان قصده من عمله الرياء فهو غير مخلص، ومن كان غرضه التقرب إلى الله -تعالى- فهو مخلص، إلا أن العادة جرت بتخصيص الإخلاص على قصد التقرب إلى الله -تعالى- وتخليصه من جميع ما يشوبه.

وكل عمل باعثه التقرب إلى الله -تعالى- وانضاف إليه خَطْرَةٌ بشرية، حتى صار العمل موسوماً بها، وأخفّ من جهتها من حيث الإتيان؛ فقد خرج العمل عن الإخلاص، وخرج عن أن يكون خالصاً لوجه الله -تعالى- وبالتالي خرج من أن يكون مُحققاً لإنسانية الإنسان، وكما يقول الغزالي: كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس، ويميل إليه القلب،

قلّ أم كثر، إذا تطرق إلى العمل تكدّر به صفوه، وزال به إخلاصه، والإنسان مرتبط في حظوظه، منغمس في شهواته، قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس.

فلذلك قيل: من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله نجا، وذلك لعزة الإخلاص وعُسر تنقية القلب عن هذه الشوائب، بل الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب القُرب من الله –تعالى– [1].

الثاني: من جهة معناه وشروطه كموقف يلتزم به الإنسان في حياته .

والإخلاص ينقسم بحسب ما يظهر من العبد، فيشمل كل فعل الإنسان، ولذا يقال: إن الإخلاص أربعة أقسام: إخلاص في الأقوال، وإخلاص في الأفعال، وإخلاص في الأعمال أي العبادات، وإخلاص في الأحوال أي أحوال القلوب، والدين شامل لكل هذا، وباعتبار أن الإخلاص التزام حيوي أكثر مما هو تصور نظري؛ فإن موقف الإخلاص يستلزم عدة أمور وهي:

١- **الاستمرارية**، حيث إن حيـــاة الإنسان عبارة عن تواصل واستمرار، ومواقف الحياة مستمرة ومتكاملة، ولذا لا

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٦٨، والمفردات للراغب ١٥٤.

ينبغي أن يتفكك الإخلاص أو يتبعثر، لأنه لا يتعلق بالموقف المعاصر فقط، ولا بالماضي فقط، ولا بالمستقبل فقط، وإنما هو موقف مستمر، ومن ثمّ كانت الاستمرارية صفة أساسية في الإخلاص.

٢- **التكامل**، بمعنى انضواء الشخص بجميع مكوناته في أهداف وجوده المستمدة من الإطار الإسلامي للحياة، حتى يتمكن من بلوغ أكمل درجة ممكنة من صياغة الذات بطريقة متكاملة، وذلك عبر محبة قوية لله وللحق وللآخرين المخلصين، هذا إلى جانب التكامل بين النية والفعل.

٣- **العلم**، حيث إن الإخلاص يستلزم وعي الإنسان بوجوده في إطار التعاليم الإسلامية، وهذا الوعي لا يمكن أن يتم بغير معرفة، لأنه لا يمكن أن يتأتّى عن جهل، وجهل الإنسان لا يمكن أن يؤدي إلى إخلاص حقيقي، ومن ثمّ كان العلم شرطاً ضرورياً لتحقيق الإخلاص، هذا إلى جانب ضرورة العلم بما يحقق الإخلاص.

٤- **التدرج**، باعتبار أن الإخلاص جهد بشري من أجل الوصول إلى كمال الإنسان بوصوله إلى حقيقة العبودية، والتحقق بها، ولذا فإن الإنسان يتعثر وينهض مراراً وتكراراً، بهدف بلوغ المرتبة العالية، فالتجربة صعبة في

مواقف حياة المسلم، ولذا فهو يحتاج إلى التدرج، وهذا شرط لكمال الإخلاص.

٥- **الأمانة**، باعتبارها رعايةً لحق الله -تعالى- وأداءً للفرائض والواجبات، وهذا يتطلب عدم الخيانة، وحفظ الحقوق، وهي خير شاهد خارجي على الإخلاص، خاصة وأن المُنزلقات التي يمكن أن تطيح بالأمانة اللازمة للإخلاص وفيرة، وهذه توفر حظوظاً للنفس تُفسد الإخلاص، ولذا كان لابد من توافر الأمانة لتوافر الإخلاص والتمسك به.

وخلاصة الأمر؛ أن الإخلاص تصفيةٌ للعمل والقول والعبادة مما يشوبها من رياء ومراءاة أو خداع أو كذب، ويأتي في مراتب عديدة وهي: طرح العمل وعدم رؤيته، فضلاً عن طرح طلب العوض عنه، والخجل من العمل مع بذل الوسع والغاية فيه، مع رؤية التوفيق في العمل المُخلَص على أنه جود من الله -تعالى- ثم إخلاصه بالخلاص منه، أي جعله خالصاً لوجه الله تعالى[1].

---

(١) ينظر: الإحياء ٣٧٦/٤- ٣٧٩، والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١١٤/٣، والمفردات ١٥٤، ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم بإشراف الشيخ صالح بن حميد ١٢٥/٢- ١٢٧.

المبحث الثاني: أهمية الإخلاص وفوائده .

يمكن إبراز أهمية الإخلاص وفوائده في الأمور الآتية :

١- يعد الإخلاص من أشرف الأعمال وأولها التي بعث الله بها الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية. وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه [1].

وهو من أشرف الأعمال التي بعث الله لأجلها الأنبياء عموماً، ومحمدا ﷺ خصوصاً، قال ﷻ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [2]. فهي " كقوله –تعالى-: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [3]. وهذا حقيقة قول لا إله إلا الله. وبهذا بعث جميع الرسل[4]، قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بالإخلاص في العبادة لله موحدين [5]. قال الحافظ ابن حجر: أوحى الله –تعالى- إلى الأنبياء ثم إلى محمد

---

(١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية لابن تيمية ص٩٧.

(٢) سورة البينة ٥ .

(٣) سورة الأنبياء ٢٥ ، والكلام من تفسير ابن كثير ١٤٣٨/٢.

(٤) التحفة العراقية ٩٨.

(٥) تفسير البغوي ٤٩٦/٨ ، وينظر: تفسير ابن عاشور ٤٨٠/٣٠- ٤٨١ ، وتفسير ابن تيمية ٢٧/٧ ، وتفسير القاسمي ٦٢٦٧/١٦.

ﷺ أن الأعمال بالنيات، لقوله –تعالى-: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾، وقال أبو العالية[1] في قوله –تعالى-: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾[2]، قال: وصاهم بالإخلاص في عبادته[3].

قال العلامة القاري –رحمه الله- في قوله –تعالى-: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾: فتقييد العبادة بالإخلاص يشير إلى فضله الخاص[4].

ومن الآيات التي تدل على أمر الله لنبيه محمداً ﷺ بالإخلاص: قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾[5]، وقوله –تعالى-: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ

---

(١) هو رفيع بن مهران، الإمام المقرئ المفسر أبو العالية الرياحي، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر، وتوفي سنة ٩٣هـ، وقيل: ٩٠هـ. ينظر: السير ٢٠٧/٤، والحلية لأبي نعيم ٢١٧/٢، والعبر ١٠٨/١، والشذرات ١٠٢/١.

(٢) سورة الشورى ١٣.

(٣) فتح الباري ١٠/١- ١١. وينظر: تفسير البغوي ١٨٧/٧، وتفسير ابن الجوزي ٢٧٦/٧.

(٤) شرح عين العلم ٦٧/٢.

(٥) سورة الزمر ٢- ٣، وينظر: تفسير الطبري ١٥٥/٢٠، ١٨٠/٢٠، ١٨٠/٢٠، وتفسير ابن الجوزي ١٦٩/٧.

﴿ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[1]، وقوله -تعالى-: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾[2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والسورة -يعني رحمه الله سورة الزمر- كلها عامتها في هذا المعنى -يعني في الإخلاص-[3].

٢- وفرة النصوص من القرآن والسنة وتضافرها على فضل أصل الإخلاص، والحث عليه، وبيان أهميته، فهو -كما تقدم- قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه، وهو خلاصة الدعوة النبوية.

" فهذا الأصل في سورة الأنعام، والأعراف، والنور، وطسم، وحم، وسور المفصل، وغير ذلك من السور المكية، ومواضع من السور المدنية كثير ظاهر، فهو أصل الأصول وقاعدة الدين حتى في سورتي الإخلاص: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ و﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[4]. وهاتان السورتان كان النبي ﷺ يقرأ بهما في صلاة التطوع كركعتي الطواف وسنة الفجر[5]. وهما متضمنتان للتوحيد "[6].

---

(١) سورة الزمر ١١.

(٢) سورة الزمر ١٤.

(٣) التحفة العراقية ص٩٧.

(٤) سورة الكافرون ١ ، وسورة الإخلاص ١ .

(٥) صحيح مسلم رقم ٧٢٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) من كلام ابن تيمية في التحفة العراقية ص١٠١.

ومن هذه النصوص -إضافة لما تقدم- مما يتعلق بالأمر به قوله-تعالى-: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [1]، وقـــوله: ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [2]، وقـــوله: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ﴾ [3].

وقوله ﷺ : " إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء "[4].

ومن هذه النصوص ما هو متعلق باشتراط الإخلاص في الأعمال -كما سيأتي التأكيد عليه- وأن الله يتوب على من يخلص في العمل ويقبل عمله بعد ذلك. مثل قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [5].

---

(١) سورة الأعراف ٢٩.

(٢) سورة غافر ١٤.

(٣) سورة غافر ٦٥.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ٣١٩٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال الألباني: الألباني: حسن. صحيح سنن أبي داود ٢/٦١٧ رقم ٢٧٤٠.

(٥) سورة النساء ١٤٥- ١٤٦.

فمعنى ﴿ وَأَخْلَصُواْ ﴾: " أخلصوا طاعتهم وأعمالهم التي يعملونها لله، فأرادوه بها، ولم يعملوها رئاء الناس، ولا على شك منهم في دينهم وافتراءٍ منهم في أن الله مُحْصٍ عليهم ما عملوا، فمجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ولكنهم عملوها على يقين منهم في ثواب المحسن على إحسانه، وجزاء المسيء على إساءته، أو يتفضل عليه ربه فيعفو، متقربين بها إلى الله، مريدين بها وجهه، فذلك معنى إخلاصهم لله دينهم "[1].
قال البغوي[2]: أراد الإخلاص بالقلب، لأن النفاق كفر القلب، فزواله يكون بإخلاص القلب[3].

وقال ﷺ : " إنما الأعمال بالنيات.." [4]، قال القرطبي[5] فيه: تحقيق لاشتراط النية والإخلاص في الأعمال[1]. وقال

---

(١) من كلام الإمام الطبري في تفسيره ٦٢٢/٧.

(٢) هو الحسين بن مسعود بن محمد، الشيخ العلامة أبو محمد البغوي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٥١٦هـ. ينظر: طبقات السبكي ٢١٤/٤، ووفيات الأعيان ٤٠٢/١، وتذكرة الحفاظ ٥٢/٤- ٥٣، والشذرات ٤٨/٤.

(٣) تفسير البغوي ٣٠٣/٢. وينظر: تفسير ابن الجوزي ٢٣٥/٢.

(٤) صحيح البخاري رقم ١ عن عمر رضي الله عنه، وينظر: رقم ٥٤ و٢٥٢٩ و٣٨٩٨ و٥٠٧٠ و٦٩٨٩ و٦٩٥٣.

(٥) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عمر، الشيخ العلامة المعروف بابن المزين، المزين، ولد سنة ٥٧٨هـ، وتوفي سنة ٦٥٦هـ. ينظر: نفح الطيب للمقري ٥/٢، وحسن المحاضرة ٢٦٠/١، والشذرات ٢٧٣/٥، ومعجم المؤلفين ٢١٤/١- ٢١٥.

القاضي عياض[2] : ذكر الأئمة أن هذا الحديث ثلث الإسلام، وقيل ربعه، وأن أصول الدين وعمدة من عمل الطاعات، ومفسر لقوله –تعالى–: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾. قال بعض شيوخنا: قوله: ﷺ " إنما الأعمال بالنيات " يرجع إلى معنيين: أحدهما تجريد العمل من الشرك بالله بخالص التوحيد، **والآخر**: تجريده بخالص السنة [3].

ومن هذه النصوص ما رواه أبو أمامة الباهلي ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له ؟ فقال رسول الله ﷺ : " لا شيء له " فأعاد ثلاث مرات، يقول له ﷺ : " لا شيء له " ثم قال: " إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه " [4].

---

(١) المفهم لما أشكل من صحيح مسلم ٧٤٤/٣، وينظر: فتح الباري ١٤/١.

(٢) هو عياض بن موسى بن عياض، الشيخ الحافظ أبو الفضل الأندلسي المالكي، ولد سنة ٤٧٦هـ، وتوفي سنة ٥٤٤هـ. ينظر: السير ٢١٢/٢٢، وتذكرة الحفاظ ١٣٠٤/٤، والشذرات ١٣٨/٤- ١٣٩.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣٣٢/٦.

(٤) أخرجه النسائي في سننه ٢٥/٦، قال العلامة الألباني في سلسلته الصحيحة رقم ٥٢: إسناده حسن كما قاله الحافظ العراقي في تخريج الإحياء. ونحوه عند أحمد ١٢٦/٤ من حديث شداد بن أوس. وجاء بطرق مختلفة عن ابن عباس وأبي هريرة، ينظر: السنن الكبرى للبيهقي ٢٩٢/٩، قال محقق جامع الأصول ٥٨٤/٣: سنده حسن.

ومن النصوص ما هو في أجر المخلصين وعظيم ثوابهم، كقوله -تعالى-: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾[1]. وقوله -تعالى-: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٌ مَّعۡلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[2]. قال ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: إن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ المدعي البينة فلم يكن له بينة، فاستحلف المطلوب، فحلف بالله الذي لا إله إلا هو، فقال رسول الله ﷺ: " إنك قد فعلت، ولكن غُفر لك بإخلاصك قول لا إله إلا الله "[3].

وقوله ﷺ -حين سُئل: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟-: "من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه "[4]. وقوله ﷺ : " ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب

---

(١) سورة النساء ١٤٩ .

(٢) سورة الصافات ٤٠- ٤٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢٥٣/١ و٢٨٨، وأبو داود ٣٢٧٥، والبيهقي في الكبرى ٣٧/١٠، والنسائي في الكبرى ٦٠٠٦، وصحح العلامة أحمد شاكر إسناده كما في تحقيقه للمسند ٧٥/٤- ٧٦ (٢٢٨٠).

(٤) صحيح البخاري عن أبي هريرة برقم ٦٥٧٠.

السماء حتى تُفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر "[1]. وقوله ﷺ: " لن يوافي عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار "[2]. وقوله ﷺ: " من طلب الشهادة صادقاً أُعطيها ولو لم تصبه "[3]. وغيرها من النصوص[4].

ومن النصوص ما هو متعلق بالترهيب من نقيض الإخلاص، وهو الرياء، والنفاق، والشرك، مثل قوله -تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾[5]، وقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٩٠ عن أبي هريرة وحسّنه. قال محقق جامع الأصول: حسن. (٣٩٢/٤).

(٢) صحيح البخاري رقم ٦٤٢٣ عن عتبان بن مالك رضي الله عنه.

(٣) صحيح مسلم رقم ١٩٠٨ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) ينظر: مختصر الترغيب والترهيب لابن حجر ص١.

(٥) سورة النساء ٣٨- ٣٩.

ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلاً ﴾ [1]، وقوله -تعالى-: ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧ ﴾ [2]، وقوله -تعالى-: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [3]. وقوله تعالى في الحديث القدسي -كما سيأتي-:

" أنا أغنى الشركاء عن الشرك ". وقوله ﷺ: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " قالوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله ؟ قال: الرياء " [4]. وغيرها من النصوص. فالقرآن كله -كما قال ابن القيم-[5] والسنة كذلك في بيان التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم .

---

(١) سورة النساء ١٤٢- ١٤٣.

(٢) سورة الماعون ٤- ٧.

(٣) سورة الكهف ١١٠.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤٢٧/٥ عن محمود بن لبيد، والبغوي في شرح السنة ٤١٣٥، وابن أبي شيبة ٤٨١/٢، وابن خزيمة ٩٣٧، والبيهقي ٢٩٠/٢، والحديث كما قال محققوا المسند: حسن. ٣٩/٣٩. وبنحوه عن شداد بن أوس في المسند ١٢٤/٤، والبيهقي في الشعب ٦٨٣٠، والطبراني في الكبير ٧١٤٤ و٧١٤٥، والحاكم ٣٣٠/٤، وابن ماجه ٤٢٠٥، ونحوه أيضاً في المسند لأحمد ١٢٦/٤، والطبراني في الكبير ٧١٣٩، والحاكم ٣٢٩/٤، والطيالسي ١١٢٠، والشعب ٦٨٤٤، والحلية ٢٩٨/١، وغيرهم.

(٥) مدارج السالكين ٤٥٠/٣.

وكان الصحابة -رضوان الله عليهم- قمةً في الإخلاص، وأعمالهم شاهدة على ذلك، وما أعزّهم الله إلا بإخلاصهم، قال عثمان ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حُرّم على النار " فقال له عمر بن الخطاب ﷺ : أنا أحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي أعز الله -تبارك وتعالى- بها محمداً ﷺ وأصحابه. وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله [1].

وقال عكرمة بن أبي جهل ﷺ -في قصة هروبه بعد فتح مكة-: ركبت البحر فأصابتنا عاصفة، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا. قلت: والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص، لا ينجني في البر غيره. اللهم إن لك عليَّ عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً ﷺ حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريماً، فجاء فأسلم [2].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦٣/١، والحاكم ٣٥١/١، والحديث إسناده قوي، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي. ومعنى ألاص: أي أداره عليها وراوده فيها.

(٢) سنن النسائي ٦٠٥/٧- ٦٠٦، وصححه الألباني في صحيح النسائي ٣٧٩١، وفي السلسلة الصحيحة ٢٧٢٣، وصحيح الجامع ٢٤٢٦.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: من خلصت له نيته ولو على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس[1].

والنصوص كثيرة عن السلف في الأمر بالإخلاص وفضله[2] -وسيأتي إيراد بعضها-.

٣- يعـد الإخـلاص من أعظـم أعمال القلـوب، فهو من الأعمال الباطنة المأمور بها في حق الخاصة والعامة، ولا يكون تركه محموداً في حال واحدٍ، وإن ارتقى مقامه، فهو خير محض، وهو حسنة محبوبة في حق كل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[3].

وتتضح أهمية هذه النقطة في أن الإخلاص يتجلى في كافة صور حياة المسلم ومظاهره، فهو يتمثل في التوحيد، والنية، والقصد، وكل العبادات القولية والعملية، وكافة مكارم الأخلاق[4].

---

(١) الإخلاص لابن أبي الدنيا ص٧٦ رقم ٨٠، والدينوري في المجالسة كما في إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٠/٦٧.

(٢) ينظر: الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا، والإحياء بشرح الزبيدي ١٣/٨٠ وما بعدها، وشرح عين العلم ٢/٦٨، والمدارج ٢/٩١- ٩٢، والنصائح الدينية للحسيني ١٠٦.

(٣) التحفة العراقية لابن تيمية ص٧٠ و٧١.

(٤) نضرة النعيم ٢/١٤٠.

فكل أعمال الإنسان الظاهرة والباطنة، إنما تصح وتكمل ويرتقي بها الإنسان إلى حصول الأجر الجزيل بكمال الإخلاص وقوته، فكلما كمل الإخلاص في العمل يحصل به المثوبة والمغفرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمّل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله له به كبائر كما في حديث البطاقة[1]... فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق، كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار، كلهم يقولون لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم، كما ترجح قول صاحب البطاقة، ثم ذكر -رحمه الله- حديث البغيّ التي سقت كلباً فغفر الله لها[2]، ثم قال: فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها، وإلا فليس كل بغي سقت كلباً يغفر لها... فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص[3].

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/٢١٣ بإسناد قوي عن ابن عمرو، وابن ماجه ٤٣٠٠، والترمذي ٢٦٣٩، وابن حبان ٢٢٥، والبغوي ٤٣٢١، والحاكم ١/٦، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ١٣٥.

(٢) صحيح البخاري ٣٤٦٧، وصحيح مسلم ١٥٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) منهاج السنة ٦/٢١٨- ٢٢١.

٤- في تحقيق الإخلاص تحقيق للإيمان والإسلام، فالمظهر للإسلام ينقسم إلى قسمين: المؤمن والمنافق، والفارق بينهما الإخلاص[1]. وقد ذكر الله -تعالى- عن المنافقين عدم إخلاصهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ...﴾[2].

قال القرطبي[3] -في تفسير الآية-: استثناءٌ ممن نافق، ومن شرط التائب من النفاق أن يُصلح في قوله وفعله ويعتصم بالله، أي يجعله ملجأً ومعاذاً ويُخلص دينه لله. كما نصت عليه هذه الآية؛ وإلا فليس بتائب، ولهذا أوقع أجر المؤمنين في التسويف لانضمام المنافقين إليهم، والله أعلم[4].

---

(١) التحفة العراقية ص٦٧، ومجموع الفتاوى ١١/١٠- ١٢.

(٢) سورة النساء ١٤٥- ١٤٦.

(٣) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الشيخ العلامة المفسر أبو عبد الله القرطبي المالكي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٦٧١هـ. ينظر: نفح الطيب ٢٢١/٧، وطبقات المفسرين ٢٨، والشذرات ٣٣٥/٥، ومعجم المؤلفين ٥٢/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٩٦/٧- ١٩٧. وينظر: تفسير أبي الليث ٤٠٠/١، وتفسير الرازي ٨٨/١١، وتفسير المنار ٤٧٤/٥- ٤٧٥، وتفسير ابن سعدي ٢١١- ٢١٢.

فيتبين أن الإخلاص -كما قال ابن تيمية- حقيقة الإسلام، إذ الإسلام هو الاستلام لله لا لغيره [1].

٥- يعتبر الإخلاص شرطاً أساسياً في قبول الأعمال، وركناً أصيلاً فيها، فالله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له، قال ﷻ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [2]، قال الطبري[3]: من كان يخاف ربه يوم لقائه ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته، فليخلص له العبادة [4].

وجاء في تفسير هذه الآية قوله ﷺ : " من سمّع الله به ومن يرائي يرائي الله به " [5].

قال الفضيل بن عياض[1] -بعد تلاوته قوله تعالى: تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

---

(١) التحفة العراقية ص٦٩، ومجموع الفتاوى ١٤/١٠.

(٢) سورة الكهف ١١٠.

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد، الإمام شيخ المفسرين، أبو جعفر الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي ٣١٠هـ. ينظر: تاريخ بغداد ١٦٢/٢، ووفيات الأعيان ٥٧٧/١، والمنتظم لابن الجوزي ١٧٠/٦، والشذرات ٢٦٠/٢.

(٤) تفسير الطبري ٤٣٩/١٥.

(٥) صحيح البخاري ٦٤٩٩ و٧١٥٢، وصحيح مسلم ٢٦٤٢ عن جندب البجلي رضي الله عنه. وينظر: تفسير البغوي ٢١٣/٥، وتفسير ابن كثير ٨٢١/٢.

عَمَلًا ﴾[2]: هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[3]. قال ابن القيم –بعد تلاوته الآية–: أي كما أنه إله واحد ولا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده، فكما تفرد بالألهية؛ يجب أن يفرد بالعبودية، والعمل الصالح هو الخالي من الرياء، المقيد بالسنة، وكان من دعاء عمر ابن الخطاب ﷺ: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً[4].

---

(1) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، الإمام القدوة أبو علي الخراساني المجاور بحرم الله، من الثقات والزهاد، توفي سنة ١٨٧هـ. ينظر: السير ٣٧٢/٨، والحلية ٨٤/٨، ووفيات الأعيان ٤٧/٤- ٥٠، والشذرات ٣١٦/١.

(2) سورة الملك ٢ .

(3) ينظر: الاستقامة لابن تيمية ٢٤٨/١، ومجموع الفتاوى ٦٠/١١، والمدارج ٢٩٣/٢، وجامع العلوم والحكم ٧٢/١.

(4) الجواب الكافي لمن سئل عن الدواء الشافي ص١٩٦.

والله عز وجل إنما أمر بعبادته خالصة، قال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [1]، فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما أُمر به، بل الذي أتى به شيء غير المأمور به، فلا يصح ولا يقبل منه، يقول الله: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، فهو للذي أشرك به، وأنا منه بريء " [2].

قال العلامة الغرناطي [3] -في تفسير قوله تعالى: ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾-: الإخلاص هنا يُراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء، وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال، وعدم الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلي، وعدم الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفي، ثم بيّن -رحمه الله- أن الأعمال ثلاثة أنواع: مأمورات ومنهيات ومباحات، فالمأمورات؛ الإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله، بحيث لايشوبها بنية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص

---

(1) سورة البينة ٥.

(2) المصدر السابق ص١٩٧، والحديث القدسي في صحيح مسلم رقم ٢٩٨٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى، الشيخ العلامة المفسر أبو القاسم الكلبي الغرناطي، ولد سنة ٦٩٣هـ، وتوفي سنة ٧٤١هـ. ينظر: الدرر الكامنة ٣/٣٢٦، ونفح الطيب ٣/٢٧٠، ومعجم المؤلفين ٣/١٠٣- ١٠٤.

مقبول، وإن كانت النية مشتركة، ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال، وأما المنهيات، فإن تركها دون نية خرج عن عهدتها، ولم يكن له أجر في تركها، وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر، وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك، فإن فعلها بغير نية، لم يكن له فيها أجر، وإن فعلها بنية وجه الله، فله فيها أجر، فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله، مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة، ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام[1].

" وقد قال الله -تعالى- في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوباً مغموراً: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ "[2][3]، قال ابن كثير[4]، -في تفسيره الآية-: وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، وكل عمل لا يكون خالصاً، وعلى

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٤١٥- ٤١٦.
(٢) سورة الفرقان ٢٣.
(٣) من كلام الغزالي في الإحياء - بشرح الزبيدي- ١٣/٥- ٦.
(٤) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء، الإمام العلامة عماد الدين أبو الفداء الشهير بابن كثير، ولد سنة ٧٠٠هـ، وتوفي سنة ٧٧٤هـ. ينظر: الدرر الكامنة ١/٣٧٣، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١١/١٢٣، والبدر الطالع ١/١٥٣، والشذرات ٦/٢٣١.

الشريعة المرضية فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معاً فتكون أبعد من القبول حينئذٍ [١].

وصح عن المصطفى ﷺ اشتراط الإخلاص في العمل، قال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه قال ﷺ : " إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه " [٢].

فلا يقبل العمل إلا بأن يكون لله عز وجل خالصاً وعلى سنة رسوله ﷺ ، قال عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [٣]، " أي لا أحد أحسن من دين من جمع بين الإخلاص للمعبود، وهو إسلام الوجه لله، الدال على استسلام القلب وتوجهه، وإنابته، وإخلاصه " [٤].

قال ابن كثير -في تفسيره الآية-: أخلص العمل لربه فعمل إيماناً واحتساباً، واتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما، أي يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متابعاً للشريعة، فيصح

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٩٥٠.

(٢) تقدم تخريجه ص: ٢٠.

(٣) سورة النساء ١٢٥.

(٤) من تفسير ابن سعدي ص٢٠٦.

ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص، فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد[1].

أما إذا أراد العبد بعبادته شيئاً آخر، ففيه تفصيل حسب الأقسام التالية:

١- أن يريد التقرب إلى غير الله -تعالى- بهذه العبادة، ونيل الثناء عليها من المخلوقين، فهذا يحبط العمل، وهو من الشرك، كما قال ﷺ : " قال الله -تعالى-: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه " [2].

٢- أن يقصد بها الوصول إلى غرض دنيوي، كالرئاسة، والجاه، والمال، دون التقرب بها إلى الله -تعالى- فهذا عمله حابط لا يقربه إلى الله -تعالى- لقول الله -تعالى-: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[3].

والفرق بين هذا والذي قبله، أن الأول قصد أن يثنى عليه من قبل أنه عابد لله -تعالى- وأما هذا الثاني فلم يقصد أن

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٥٤/١- ٣٥٥، وينظر: المدارج ٩٣/٢.

(٢) تقدم تخريجه ص:٣٥.

(٣) سورة هود ١٥ و١٦.

يثنى عليه من قبل أنه عابد لله، ولا يهمه أن يثنى الناس عليه بذلك.

٣- أن يقصد بها التقرب إلى الله -تعالى- والغرض الدنيوي الحاصل بها، مثل أن يقصد مع نية التعبد لله -تعالى- بالطهارة تنشيط الجسم وتنظيفه، وبالصلاة تمرين الجسم وتحريكه، وبالصيام تخفيف الجسم وإزالة فضلاته، فهذا ينقص أجر الإخلاص، ولكن إن كان الأغلب عليه نية التعبد، فقد فاته كمال الأجر، وإن كان الأغلب عليه نية غير التعبد، فليس له ثواب في الآخرة، وإنما ثوابه ما حصله في الدنيا، ويُخشى أن يأثم بذلك لأنه جعل العبادة التي هي أعلى الغايات وسيلة للدنيا الحقيرة. وإن تساوى عنده الأمران، فلم تغلب نية التعبد، ولا نية غير التعبد، فمحل نظر، والأقرب أنه لا ثواب له، كمن عمل لله -تعالى- ولغيره.

والفرق بين هذا القسم والذي قبله، أن غرض غير التعبد في القسم السابق حاصل بالضرورة، فإرادته إرادة حاصلة بعمله بالضرورة، وكأنه أراد ما يقتضيه العمل من أمر الدنيا.

فإن قيل: ما هو الميزان لكون مقصوده في هذا القسم أغلبه التعبد أو غير التعبد؟ قيل: الميزان أنه إذا كان لا يهتم

بما سوى العبادة حصل أم لم يحصل، فقد دل على أن الأغلب نية التعبد، والعكس بالعكس[1].

وفي عبارة رائعة للإمام الفضيل بن عياض -رحمه الله- قوله: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما[2] فمعنى " كلامه -رحمه الله- أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراه الناس فهو مراءٍ، لأنه ترك العمل لأجل الناس، أما لو تركها ليصليها في الخلوة، فهذا مستحب، إلا أن تكون فريضة، أو زكاة واجبة، أو يكون عالماً يقتدى به، فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل[3].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أن قول الفضيل: إن العمل من أجل الناس شرك فهو صحيح، لأن الأدلة من الكتاب والسنة تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وتحريم الرياء، وقد سماه النبي ﷺ الشرك الأصغر، وأما قوله: إن ترك العمل من أجل الناس رياء، فليس على إطلاقه بل فيه تفصيل، والمعول في

---

(١) من فتاوى أركان الإسلام للعلامة ابن عثيمين -رحمه الله- ص٥٦- ٥٨.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٩٥.

(٣) من شرح الأربعين النووية ص١١.

ذلك على النية، فإن وقع للإنسان حالة ترك فيها العمل الذي لا يجب عليه، لئلا يُظن به ما يضره، فليس هذا من الرياء، بل هو من السياسة الشرعية، وهكذا لو ترك بعض النوافل عند بعض الناس خشية أن يمدحوه بما يضره أو يخشى الفتنة به. أما الواجب فليس له أن يتركه إلا لعذر شرعي [1].

ولاشك أن من أعظم فوائد الإخلاص المتعلقة بقبول الأعمال: تحقيق البراءة من الشرك، والخلوص من وسائله، فإخلاص الدين لله هو التوحيد العملي الإرادي، وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة [2].

٦- يعد الإخلاص لله ﷻ ركناً أساسياً في النطق بالشهادة، وحصول شفاعة المصطفى ﷺ لصاحبها في تحقيق النجاة من النار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن: إخلاص الألوهية له، فلا يجوز أن يتأله القلب غيره، لا بحب، ولا خوف، ولا رجاء، ولا إجلال، ولا إكرام، ولا رغبة، ولا رهبة، بل لابد أن يكون الدين كله لله كما قال -تعالى-: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [3]،

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/٧٦٨- ٧٦٩ رقم ٣٤١٩. وينظر: أعمال القلوب للعتيبي ١/٢٩١.

(٢) فتاوى ابن تيمية ١٠/٥٤ و٥٦.

(٣) سورة الأنفال ٣٩.

فإذا كان بعض الدين لله، وبعضه لغير الله، كان ذلك من الشرك بحسب ذلك[1].

وقال –رحمه الله–: وكلما حقق العبد الإخلاص في قول: لا إله إلا الله، خرج من قلبه تأله ما يهواه، وتصرف عنه المعاصي والذنوب، كما قال –تعالى–: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[2]. فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه حرمه الله على النار"[3]، فإن الإخلاص ينفي أسباب دخول النار، فمن دخل النار من القائلين: لا إله إلا الله، لم يحقق إخلاصها المحرم له على النار، بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار[4].

وقال ﷺ: " أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه "[5] فأسعد الناس بها المؤمن المخلص[6].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨٣٤.

(٢) سورة يوسف ٢٤.

(٣) صحيح مسلم رقم ٣٢ عن أنس ومعاذ –رضي الله عنهما– .

(٤) فتاوى ابن تيمية ١٠/٢٦٠– ٢٦١.

(٥) صحيح البخاري ٩٩ و٦٥٧٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) فتح الباري ١/١٩٤.

وقال ﷺ : " إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله "[1].

وقال ﷺ : " من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة "[2].

وقد بيّن الأئمة أن هذه البشارة فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدة بقوله: "خالصاً من قلبه" غير شاك فيها، بصدق ويقين. فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله –تعالى– جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله –تعالى– بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً ، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك[3].

ومن يقول الشهادة ولم يقم بموجبها، بل اكتسب مع ذلك ذنوباً، وكان صادقاً في قولها موقناً بها، لكن له ذنوب أضعفت صدقه ويقينه، وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي؛ رجحت هذه السيئات على هذه الحسنة، ومات مصراً على

---

(١) صحيح البخاري ٤٢٥ و٦٦٧ و٦٨٦ و٦٤٢٣ و٦٩٣٨ ، وصحيح مسلم ٣٣ و٦٥٧ عن عتبان رضي الله عنه .

(٢) أخرجه عن زيد بن أرقم الطبراني في الكبير ٥٠٧٤ بإسناد فيه نفيع أبو داود ، متروك وكذبه ابن معين كما في التقريب ٥٦٥ رقم ٧١٨١ ، لكن معناه يثبت بما تقدم. وقد صححه الألباني في صحيح الجامع ٦٣٠٩.

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ ١/١٣٧- ١٣٨.

الذنوب. بخلاف من يقولها بيقين وصدق، فإنه إما أن لا يكون مصراً على سيئة أصلاً، أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجّح حسناته.

والذين يدخلون النار ممن يقولها، لم يقولوها بالصدق واليقين التامّين المنافيين للسيئات، أو لرجحانها، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين تام ، لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات، فترجح سيئاتهم على حسناتهم[1].

٧- يثمر الإخلاص فوائدَ وثمرات عظيمة للعبد المسلم، فمنها -إضافة لما تقدم- أن الناس يتفاوتون في الطاعات بمقدار تفاوتهم في الإخلاص، كما أنهم يتفاوتون في التوبة من المعاصي بمقدار تحقيقهم لحقيقة الإخلاص والصدق في التوبة.

فأما التفاوت في الطاعات الظاهرة، فهذا معلوم للجميع، فإن الناس يؤدون الصلوات في صف واحد، وبين أجر أحدهم

---

(١) ينظر: فتاوى ابن تيمية ٢٥٦/٢ و٤٢٠/١٤ ، وفتح المجيد ١٤٢/١-١٤٣.

والآخر ما بين السماء والأرض، وذلك بما قام في قلب هذا من الإخلاص لله ﷻ في العبادة، وكذا في باقي الأعمال. ولو أن أحداً لم يخرج للجهاد في سبيل الله، ولكنه كان صادقاً مخلصاً، يريد الخروج ثم لم يخرج، فهذا له أجر عظيم عند الله بنيته وإخلاصه لله، كما قال -تعالى-: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [1]. وذلك لنيته وإخلاصه وإن لم يتحقق منه العمل، وكما ذكر النبي ﷺ في قصة الذين تخلفوا معذورين: " إن بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض " وفي رواية: " إلا شركوكم في الأجر " [2].

ومن الأمثلة على ثمرات الإخلاص وما يحمد من عاقبته، قصة الثلاثة أصحاب الغار، الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فتوسلوا إلى الله -تعالى- بصالح أعمالهم وإخلاصهم فيها، فكل منهم قال: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه [3]،[4].

---

(١) سورة النساء ١٠٠.
(٢) صحيح مسلم رقم ١٥١٨ عن جابر بن عبد الله .
(٣) ينظر: صحيح البخاري ٣٤٦٥، وصحيح مسلم ٢٧٤٣ عن ابن عمر .
(٤) ينظر: أعمال القلوب لسهل العتيبي ٢٩٩/١- ٣٠١.

ومن أبرز ثمرات الإخلاص لله ﷻ : العلماء والأئمة الذين طلبوا العلم لوجه الله ﷻ بنية صادقة وإخلاص تام ، فجعل الله البركة في عملهم ونفع الله بعلمهم الناس إلى يوم القيامة .

ولنضرب مثالاً على ذلك بالإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة، حيث كان ينهى عن كتابة آرائه وأقواله [1]، ويريد بذلك توجيه الطلبة إلى العناية بالنصوص الشرعية، فعلم الله صدق نيته وإخلاصه فانتشرت أقواله وآراؤه انتشاراً عظيماً، بل إنه يكون له في المسألة الواحدة عدة روايات [2]، في الوقت الذي اندثرت فيه آراء وأقوال من حرص على كتابة آرائه وأقواله. فلا شك أن هذا العلم الجليل الذي نفع الله به المسلمين هو أحد ثمرات إخلاص هذا الإمام الجليل [3].

ومن ثمرات الإخلاص: علو الهمة وقوة اليقين، فإذا ضعف الإخلاص ضعفت الهمة، ومن ثمراته أنه يورث العبد

---

(١) ينظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٣٩.

(٢) ينظر في تعدد الروايات عن الإمام أحمد: المسودة لابن تيمية ٥٢٤، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران ١٣٦، وصفة الفتوى لابن حمدان ٩٥، وأصول مذهب الإمام أحمد لمعالي الدكتور عبدالله التركي ص٨٠٧، ومفاتيح الفقه الحنبلي للثقفي ٢/ ٢٦١.

(٣) ينظر: إعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٢٨، ومناقب أحمد لابن الجوزي ٢٦١، والمدخل لابن بدران ١٣٣- ١٣٤.

أن يكون من المُخْلَصين، لأن الجزاء من جنس العمل، فإذا أخلص العبد لله، وصدق مع الله ﷻ فإن الله يجعله من المخلصين . والمخلصون هم صفوة وخيرة خلق الله. ومن أهم صفاتهم التي وردت في القرآن أنهم يعرفون قدر الله وعظمته حق المعرفة، كما قال -تعالى-: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٥٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [1]، فكل ما يصفه به الواصفون، فإن الله منزّه عنه، إلا ما يصفه به عباده المخلصون، الذين أخلصوا لله، فاستخلصهم الله من بين عباده [2]. نسأل الله أن يجعلنا من عباده المخلِصين المخلَصين [3].

(١) سورة الصافات ١٥٩- ١٦٠.
(٢) ينظر: تفسير الشوكاني ٤/ ٤٠٠، وتفسير ابن كثير ٢/ ١١٢٨، وتفسير ابن عطية ١٢/ ٤٠٧، وتفسير ابن سعدي ٧٠٨.
(٣) ينظر: أعمال القلوب ١/ ٣٠٢- ٣٠٣.

المبحث الثالث : العلاقة بين الإخلاص والصدق .

لاشك أن الأعمال القلبية تتداخل، ويقترن بعضها ببعض، ويؤثر بعضها في الآخر، والإخلاص من ضمن الأعمال القلبية، ولا يتم ولا يكمل إلا إن اقترن ببعض الأعمال الأخرى القلبية، ومنها الصدق، فالإخلاص لا يكون مع الكذب، فكل "من الإخلاص والصدق يثمر الآخر ويقتضيه" [1].

ولاشك " أن الصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها، ويظهر ذلك بوجوه منها: اقتران الصدق بالإخلاص الذي هو أصل الدين في الكتاب والسنة وكلام العلماء والمشايخ، قال الله -تعالى-: ﴿ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾ [2]، ولهذا قال ﷺ : " عدلت شهادة الزور الإشراك بالله مرتين " وقرأ ﷺ هذه الآية [3].

ومنها: أن الصدق والكذب هو المميز بين المؤمن والمنافق كما في الصحيحين: " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب.. " [4]،

(١) من كلام ابن القيم في المدارج ٢/٢٩.

(٢) سورة الحج ٣٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٧٨، والترمذي ٢٢٩٩، والطبري في تفسيره ١٦٥/٥٣٦- ٥٣٧، عن أيمن بن خريم، والإسناد فيه مقال.

(٤) صحيح البخاري رقم ٣٣ و٢٦٨٢ و٢٧٤٩ و٦٠٩٥، ومسلم رقم ٥٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ووصف الله المنافقين في القرآن بالكذب في مواضع متعددة. ومعلوم أن المؤمنين هم أهل الجنة، وأن المنافقين هم أهل النار في الدرك الأسفل من النار.

ومنها: أن المشايخ العارفين اتفقوا على أن أساس الطريق إلى الله هو الصدق والإخلاص، كما جمع الله بينهما في قوله: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ "[1].

ويهمنا هنا أن نركز على قضية لها علاقة بما سيأتي في المبحث الثاني، وهو الكلام على المناصحة، ووجه الجمع بين الإخلاص والمناصحة في الحديث، فإن الجامع بين الإخلاص والصدق قوله ﷺ : "الدين النصيحة.." [2] قال الحافظ ابن حجر: أي معظم الدين النصيحة، كما قيل في حديث: " الحج عرفة " [3]، ويحتمل أن يحمل على ظاهره، لأن كل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين [4].

---

(١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٠/٧٦-٧٧، وينظر في تفسير الآية: تفسير الطبري ١٦/٥٣٦- ٥٣٧، وتفسير الماوردي ٣/٧٨، وتفسير ابن كثير ٢/٨٩٠، وتفسير البغوي ٥/٣٨٣، وتفسير ابن عاشور ١٧/٢٥٤.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد ٤/٣٠٩ عن عبد الرحمن بن يعمر بإسناد صحيح، والطيالسي ١٣٠٩ و١٣١٠، والبخاري في التاريخ الكبير ٥/٢٤٣، والنسائي في الكبرى ٤١٨٠، والحاكم ٢/٢٧٨، وغيرهم.

(٤) فتح الباري ١/١٣٨.

وقال العيني[1] – مبيناً وجه المناسبة بين حديث: " الدين النصيحة " وما قبله وهو حديث: " إنما الأعمال بالنيات "–: وجه المناسبة بين البابين من حيث إن المذكور في الباب الأول أن الأعمال بالنيات، وأنها لا تقبل إلا إذا كانت ابتغاءً لوجه الله –تعالى– مع ترك الرياء، والعمل على هذا الوجه من جملة النصيحة لله –تعالى– ومن جملة النصيحة لرسوله أيضاً، حيث أتى بعمله على وفق ما أمر به الرسول عليه السلام مجتنباً عما نهاه عنه [2].

ومما يجمع بين المناصحة والإخلاص والصدق: معنى المناصحة اللغوي –كما تقدم– فهي بمعنى الخلوص والصدق.

فالنصيحة تجمع بين معنى الصدق والإخلاص، فكل من تقدم له كلمة أو موعظة أو شيء ينفعه، وتقول: إنك ناصح له، لو تأملته لوجدت أنك تريد أن تثبت له الأمرين معاً، أنك صادق في محبته وفيما قلته له، ولو كذبت عليه لما كانت نصيحة، والأمر الآخر أنك مخلص له، فلو غششته فيما قلت له لما كانت نصيحة، فلذلك هذان العملان القلبيان يقترنان ويتداخلان.

---

(١) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، الشيخ العلامة بدر الدين أبو محمد العيني الحنفي، ولد سنة ٧٦٢هـ، وتوفي سنة ٨٥٥هـ. ينظر: الضوء اللامع للسخاوي ١٠/١٣١، والبدر الطالع ٢/٢٩٤، وحسن المحاضرة ١/٢٧٠، والشذرات ٧/٢٨٧.

(٢) عمدة القاري ١/٣٢١.

ومع اقتران الصدق بالإخلاص وتداخلهما وتلازمهما، فإن بينهما فرقاً، فقد سُئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1]، عن معنى الصدق والإخلاص والفرق بينهما فقال: المسألة كبيرة، ولما ذكر الإمام أحمد الصدق والإخلاص قال: بهما ارتفع القوم، ولكن يقربهما إلى الفهم التفكر في بعض أفراد العبادة، مثل الصلاة، فالإخلاص فيها يرجع إلى إفرادها عما يخالطها كثيراً من الرياء والطبع والعادة، وغيرها، والصدق يرجع إلى إيقاعها على الوجه المشروع، ولو أبغضه الناس لذلك[2].

وذكر ابن القيم –رحمه الله– الصدق فقال: والفرق بينه وبين الإخلاص أن للعبد مطلوباً وطلباً، فالإخلاص توحيد مطلوبه، والصدق توحيد طلبه.

فبالإخلاص أن لا يكون المطلوب منقسماً، وبالصدق أن لا يكون الطلب منقسماً، فالصدق بذل الجهد، والإخلاص لإفراد المطلوب[3].

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن أحمد، الشيخ العلامة مجدد دعوة التوحيد، ولد سنة ١١١٥هـ، وتوفي سنة ١٢٠٦هـ. ينظر: المسك الأذفر للألوسي ١١١- ١٢١، والأعلام للزركلي ١٣٧/٧، ومختصر طبقات الحنابلة للشطي ١٣٧، ومعجم المؤلفين ٤٧٢/٣.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٣١/٢.

(٣) المدارج ١٢٤/١.

وقال الشيـــخ عبـدالرحمن بن حســن[1] –رحمه الله-: والصدق والإخلاص متلازمان، لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإن من لم يكن مخلصاً فهو مشرك، ومن لم يكن صادقاً فهو منافق[2].

فالصدق هو الفارق بين المؤمن والمنافق، والإخلاص هو الفارق بين المؤمن والمشرك، والصدق ضد الكذب والنفاق. والإخلاص ضد الشرك، لأن المشرك أحياناً يعبد الله، ولكن يشرك مع الله غيره، وأما الموحد فهو يفرد الله بالعبادة، ومما يميّز الصدق عن الإخلاص، أن الصدق لا يختص بالأعمال القلبية، بل يكون بالأقوال وأعمال الجوارح، أما الإخلاص، فإنه عمل قلبي باطن، لكن تظهر آثاره على الجوارح[3].

---

(١) هو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ١٢٨٥هـ. ينظر: الأعلام ٤/٧٥، ومعجم المؤلفين ٢/٨٨.

(٢) قرة عيون الموحدين ص٢٩.

(٣) أعمال القلوب لسهل العتيبي ١/٢٩٥.

الفصل الثاني

مناصحة ولي الأمر، وطاعته

المبحث الأول: المراد بالنصيحة .

كلمة النصيحة مأخوذة من نصح الشيخ أي خَلَصَ، والناصح: الخالص من العسل وغيره، وكل شيء خلص فقد نصح، والنصح نقيض الغش.

قال ابن الأثير[1]: النصيحة: كلمة يُعبّر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يُعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها. وأصل النصح في اللغة الخلوص[2]، ومنه التوبة النصوح، أي الخالصة، وهي ألا يرجع العبد إلى ما تاب عنه، قال ﷻ: ﴿ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾[3] وقال ﷺ -عندما سُئل عن التوبة النصوح-: " هي الخالصة التي لا يعاود بعدها الذنب "[4].

---

(١) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، الشيخ العلامة مجد الدين أبو السعادات المعروف بابن الأثير، ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٥٥٧/١، وطبقات السبكي ١٥٣/٥، والبداية والنهاية ٨/١٧، والشذرات ٢٢/٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٦٣/٥.

(٣) سورة التحريم ٨.

(٤) الحديث روى موقوفاً ومرفوعاً. فالمرفوع عن ابن مسعود في المسند لأحمد ٢٩٩/٧ رقم ٤٢٦٤، والبيهقي في الشعب ٧٠٣٦ و٧٠٣٧ بإسناد

ومن معاني النصح: الصدق، يقال: نصحته أي صدقته، ومنه التوبة النصوح، وهي الصادقة [1].

والنصيحة كلمة جامعة، معناها حيازة الحظ للمنصوح له، ويقال: هو من وجيز الأسماء، ومختصر الكلام، وليس في كلام العرب كلمة مفردة، يستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة كما قالوا في الفلاح: ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه [2].

وقد جاء في الصحيح قوله ﷺ: " الدين النصيحة " قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " [3].

ضعيف، وعن أبي بن كعب عند البيهقي ٥٤٥٧، وابن أبي حاتم، - كما في تفسير السيوطي- ٥٩٣/١٤، قال الحافظ السيوطي: سند ضعيف، وقال ابن حجر في الفتح ١٠٤/١١: سنده ضعيف جداً. والموقوف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند عبد الرزاق في مصنفه ٣٠٣/٢، وابن أبي شيبة ٢٧٩/١٣، وهناد في الزهد ٩٠١، والطبري في تفسيره ١٠٦/٢٣، والحاكم ٤٩٥/٢، والبيهقي ٧٠٣٤، ونحوه عن ابن مسعود، قال الحافظ: سنده صحيح. الفتح ١٠٤/١١.

(١) ينظر: اللسان ٤٥٤/٣- ٤٥٥، والصحاح ٣١٠/١- ٤١١، وتهذيب اللغة ٢٤٩/٤، ومجمل اللغة ١- ٨٧٠/٢، والعين ١٧٩٦/٣- ١٧٩٧.

(٢) شرح صحيح مسلم ٣٨/١.

(٣) صحيح مسلم رقم ٥٥ عن تميم الداري رضي الله عنه .

قال العلامة النووي[1] -رحمه الله-: هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام[2]، وأما تفسير النصيحة وأنواعها في هذا الحديث، فقد بيّنه العلماء -رحمهم الله-، وذكروا كلاماً نفيساً، قالوا: أما النصيحة لله -تعالى- فمعناها منصرف إلى الإيمان به، ونفي الشريك عنه، وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه -سبحانه- عن جميع النقائص، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه، والبغض فيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته، وشكره عليها، والإخلاص في جميع الأمور، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة، والحث عليها، والتلطف في جمع الناس، أو من أمكن منهم عليها.

وأما النصيحة لكتابه -سبحانه وتعالى-؛ فالإيمان بأنه كلام الله -تعالى- وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر

---

(١) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن، الشيخ العلامة محيي الدين أبو زكريا النووي الشافعي، ولد سنة ٦٣١هـ، وتوفي سنة ٦٧٧هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ٢٥٠/٤، وطبقات السبكي ١٦٧/٥، والبداية والنهاية ٥٤٠/١٧، والشذرات ٣٥٤/٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ٣٨/١، وينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢١٥- ٢١٦، وفتح الباري ١٣٨/١، وصيانة صحيح مسلم للشهرزوري ص٣٢١.

على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها، والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه تأويل المحرّفين وتعرّض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه.

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ ؛ فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها، لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرّض لأحد من أصحابه، ونحو ذلك.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين[1]؛ فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم برفق ولطف، وإعلامهم

---

(١) سيأتي التفصيل فيها.

بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم.

وأما النصيحة لعامة المسلمين، وهم من عدا ولاة الأمر، فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، وتعليمهم ما جهلوا من دينهم، وإعانتهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلاّتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخوّلهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذبّ عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلّق بجميع ما ذكرنا من أنواع النصيحة، وتنشيط هممهم إلى الطاعات[1]، والله أعلم.

---

(١) شرح صحيح مسلم ١/٣٨- ٤٠. وينظر: إكمال المعلم ١/٣٠٧، والمفهم للقرطبي ١/٢٤٣، وجامع العلوم والحكم ١/٢١٩، وتفسير القرطبي ٨/٢٠٦، وشرح السيوطي على مسلم ١/٧٦، وفتح القدير للشوكاني ٢/٥٦٩، وعون المعبود ١٣/١٩٩، وتحفة الأحوذي ٦/٤٤، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١/١٩ و١٩/٥٨، وشرح الأربعين النووية ٣١، وعمدة القاري ١/٣٢٢.

ومما ينبغي أن يعلم " أن النصح للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين، قال -تعالى- إخباراً عن نوح -عليه السلام-: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ...﴾ [1]، وقال شعيب: ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [2]، وقال صالح: ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [3] " [4].

(١) سورة هود ٣٤.

(٢) سورة الأعراف ٩٣.

(٣) سورة الأعراف ٧٩.

(٤) من كلام الطرطوشي في سراج الملوك ١/٣٢٥.

المبحث الثاني: مناصحة ولاة الأمر وضوابطها .

إن ولاة الأمر غير معصومين، فهم بشر يصيبون ويخطئون، ولا يزالون في حاجة إلى نصيحة المخلصين، وإرشاد المتقين، ونصيحتهم بالطريقة الشرعية من عزائم الدين، وهدي السلف الأولين، وهذه ينبغي أن يرافقها الإخلاص، والرفق، واللين، والعناية في أسلوبها لكي تؤتي ثمارها [1].

" إن المسؤولية الكبرى والواجب الأعظم في القيام بهذا الأمر الجليل، يقع على عاتق علماء الأمة ودعاتها المخلصين، وهو من أعظم حقوق ولاة أمور المسلمين على الرعية، فعلى علماء الإسلام أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من بيان الحق والتذكير به، وأمر ولاة أمور المسلمين بالمعروف، وإعانتهم عليه، ونهيهم عن المنكر، وتحذيرهم منه، وبيان سوء عاقبته وخطره على الأمة في عاجل أمرها وآجله، فإن فشو المنكرات وكثرتها من أسباب حصول البلاء ووقوع العذاب، وزوال الدول والملوك، وانتشار الفساد في الأرض. كما قال –

(١) فقه السياسة الشرعية – بحوث في النظام السياسي الإسلامي. خالد علي العنبري ص٢١٥.

سبحانه-: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1] ".

قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس [2]: حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه أن يدخل على ذي سلطان يأمره بالخير، وينهاه عن الشر، ويعظه، لأن العالم إنما يدخل على السلطان يأمره بالخير، وينهاه عن الشر، فإذا كان فهو الفضل الذي ليس بعده فضل [3].

ولما كانت بعض النفوس البشرية مستثقلة للنصح، نافرة عن أهله، مائلة إلى ما وافق هواها، وناسب مبتغاها[4]، كان لزاماً على الناصح أن يعمل جاهداً في اختيار الطريق الأفضل، والسبيل الأمثل لتأدية نصيحته، لكي تؤتي هذه النصيحة ثمارها الطيبة ونتيجتها المرجوة.

وليس من شك أن جُرعة النصيحة مُرّة، لا يقبلها إلا أصحاب العزم والديانة من الرجال، ولكن ينبغي لمن صحب

---

(١) سورة الروم ٤١. وما بين قوسين من كلام العلامة الشيخ محمد بن عبد الله بن سبيل في كتابه: الأدلة الشرعية في بيان حقوق الراعي والرعية ص٦٦.

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك، الإمام حجة الأمة أبو عبد الله الأصبحي المدني، ولد سنة ٩٣هـ، وتوفي سنة ١٧٩هـ. ينظر: السير ٨/٤٣، والحلية ٦/٣١٦، ووفيات الأعيان ٤/١٣٥، والشذرات ٢/١٢.

(٣) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/٦٥.

(٤) ينظر: سراج الملوك ١/٣٢٨.

السلطان أن لا يكتم عنه نصيحة، وإن استثقلها، وليكن كلامه له كلام رفق لا كلام خُرْق، حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك، ولكن ليضرب له الأمثال، ويخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه[1].

وللوصول إلى أفضل النتائج في النصيحة، ينبغي أن تُراعى عدة ضوابط فيها، ومنها:

١ - استعمال الرفق واللين في النصح لولي الأمر .

يعد الرفق واللين من أنجع الوسائل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

والرفق واللين مما يقرب بين القلوب، ويحبب إلى النفوس، وإذا كان الله -تعالى- قد أمر باستخدام الرفق واللين في التعامل مع سلاطين الكفر، فاستخدامه مع ولاة الأمر من المسلمين من باب أولى وآكد.

قال ﷻ مخاطباً موسى وهارون في دعوة فرعون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ

(١) ينظر: العقد الفريد لابن عبد ربه ١/١٧.

(٢) ينظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، لسعيد بن علي القحطاني ٦٩، والمنهاج النبوي في دعوة الشباب، لسليمان العيد ص١٥٠.

﴿أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[1]، قال العلامة القرطبي[2]: فيه دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة، وضمنت له العصمــة، ألا تراه قـال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾، وقـــال: ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[3]، فكيف بنا، فنحن أولى بذلك. وحينئذٍ يحصل الآمر والناهي على مرغوبه، ويظفر بمطلوبه، وهذا واضح[4].

فالحاصل أن الدعوة للولاة تكون بكلام رقيق لين، قريب سهل، ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ وأنجع، كما قال -تعالى-: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[5]،[6].

---

(١) سورة طه ٤٣- ٤٤.

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الشيخ العلامة أبو عبد الله القرطبي المالكي، توفي بمصر سنة ٦٧١هـ. ينظر: نفح الطيب ٢٢١/٧، وطبقات المفسرين للسيوطي ٢٨، والشذرات ٣٣٥/٥، ومعجم المؤلفين ٥٢/٣.

(٣) سورة طه ٤٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٦٣/١٤. وينظر: أحكام القرآن لابن العربي ١٢٤٨/٣.

(٥) سورة النحل ١٢٥.

(٦) تفسير ابن كثير ٨٤٨/٢، وينظر: تفسير ابن عطية ٣٣/١٠، وتفسير الثعالبي ٣٠/٣، وتفسير ابن عاشور ٢٢٥/١٦.

والرفق واللين من أهم الصفات التي ينبغي توافرها في الدعـوة والأمر بالمعروف والنـهي عن المنكر، قـال ﷺ -في وصيته لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما-: " يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا " [١].

" فالجائز من الأمر بالمعروف والنـهي عن المنكر مع السلاطين: التعريف والوعظ، فأما تخشين القول، نحو: يا ظالم، يا من لا يخاف الله، فإن ذلك يحرك فتنة يتعدى شررها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه، فهو جائز عند جمهور العلماء " [٢].

قال رجل للرشيد[٣] وهو في الطواف: أريد أن أكلمك بكلام فيه خشونة فاحتمله، فقال الرشيد: لا ولا كرامة، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني. فقال: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾[٤].

---

(١) متفق عليه فأخرجه البخاري رقم ٦١٢٤، ومسلم رقم ١٧٣٣.

(٢) من كلام ابن الجوزي نقله ابن مفلح في الآداب الشرعية ١/١٩٦، وعقب عليه بقوله: والذي أراه المنع من ذلك.

(٣) هو هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر، الخليفة أبو جعفر الرشيد، ولد سنة ١٤٨هـ، وتوفي سنة ١٩٣هـ، عليه رحمة الله. ينظر: السير ٩/٢٨٦، وتاريخ بغداد ١٤/٥، وتاريخ الخلفاء ٢٨٣، والشذرات ١/٣٣٤.

(٤) ينظر: الشهب اللامعة للمالقي ٧١.

٢- النصـح في السـر .

ينبغي على من يرغب في مناصحة ولي الأمر أن يناصحه خفية، وليـس عـلى الملأ، وقد جاء الأمر بذلك في كلام النـبي ﷺ: قال: " من كانت عنده نصيحة لذي سلطان، فلا يكلمه بها علانية، وليأخذ بيده، وليخْلُ به، فإن قبلها قبلها، وإلاّ كان قد أدى الذي عليه والذي له " [١]. قال العلامة المحدث ناصر الدين الألباني –رحمه الله بعد تصحيـحه الحديث-: هذا الحديث أصل في إخفاء نصيحة السلطان، وأن الناصح إذا قام بالنصح على هذا الوجه فقد برئ، وخلت ذمته من التبعة [٢].

وعلى هذا المنهج سار الصحابة –رضوان الله عليهم- فقد سُئل ابن عباس –رضي الله عنهما- عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر، فقال: إن كنت فاعلاً ولا بد، ففيما بينك وبينه [٣].

وقيل لأسامة بن زيد –رضي الله عنهما-: ألا تدخل على عثمان[٤] فتكلمه ؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أُسمعكم؟ والله

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٠٤/٣ عن هشام بن حكيم، وابن أبي عاصم في السنة ١٠٩٦ و١٠٩٧، قال العلامة الألباني في تخريجه للسنة: إسناده صحيح. ظلال الجنة ٥٢١/٢- ٥٢٢، وأخرجه الحاكم ٢٩٠/٣، وصححه .

(٢) نقله العنبري في فقه السياسة الشرعية ص٢١٧.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢٢٥/١.

(٤) يعني في وقت الفتنة.

لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه [1].

قال الحافظ ابن حجر: مراد أسامة ﷺ أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطف به وينصحه سراً، فذلك أجدر بالقبول [2].

وقال سعيد بن جمهان[3]: أتيت عبد الله بن أبي أوفى ﷺ وقلت: إن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم، فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة، ثم قال: ويحك يابن جمهان، عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم، إن كان السلطان يسمع منك، فائته في بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك، وإلا فدعه، فإنك لست بأعلم منه [4].

---

(١) صحيح البخاري ٣٢٦٧ و٧٠٩٨ وصحيح مسلم ٢٢٨٩.

(٢) فتح الباري ١٣/٥٢.

(٣) هو سعيد بن جمهان الأسلمي، أبو حفص البصري. يروي عن بعض الصحابة، من الثقات، توفي بالبصرة سنة ١٣٦هـ. ينظر: تهذيب الكمال للمزي ١٠/٣٧٦، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤/١٤.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/٣٨٢ وابن أبي عاصم في السنة ٩٠٥، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢٣١٣، قال الهيثمي في المجمع ٥/٢٣٠: رجال أحمد ثقات.

قال ابن النحاس[1] -في بيانه الآداب في النصيحة-: ويختار الكلام مع السلطان في الخلوة على الكلام معه على رؤوس الأشهاد، بل يود لو كلمه سراً، ونصحه خفية من غير ثالث لهما، ويكره أن يقال عنه أو يُحكى ما اتفق له، وأن يشتهر بذلك بين العامة، بل لو أثّر كلامه وغيّر المنكر بقوله، ثم اشتهر عند الناس نسبة ذلك لغيره، لما شقّ عليه ذلك، إذ في علم الله بحقيقة الحال كفاية، وهو المجازي كل أحد بعمله[2].

وقال الشوكاني[3]: ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد[4].

٣- العلم بالمعروف والمنكر، وكيف يرتب المناصح الأمر في إقامته، وكيف يباشر، فإن الجاهل ربما رأى معروفاً فظنه منكراً، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في غيره، وقد يغلط

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الدمياطي المعروف بابن النحاس. توفي شهيداً، قتله الفرنج سنة ٨١٤هـ. ينظر: الضوء اللامع للسخاوي ٢٠٣/١، والشذرات ١٠٥/٧، ومعجم المؤلفين ٩١/١.

(٢) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين ٦٤.

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، الشيخ العلامة أبو عبد الله الشوكاني الصنعاني. ولد سنة ١١٧٣هـ. وتوفي سنة ١٢٥٠هـ. ينظر: البدر الطالع ٢١٤/٢، والمجددون في الإسلام للصعيدي ٤٧٢، ومعجم المؤلفين ٥٤١/٣- ٥٤٢.

(٤) السيل الجرار ٥٥٦/٤.

في موضع اللين، ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تمادياً.

قال سفيان الثوري[1]: لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل عالم بما يأمر وينهى[2].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب -مبيناً الطريق الصحيح في مناصحة الإمام-: أهل العلم يقولون: الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه[3].

ويدخل في ذلك العلم بالعواقب، وتغليب درء المفاسد على جلب المصالح، فإن رأى أن مناصحته وإنكاره قد تجران إلى ما هو أعظم، فليعرض عنها إلى وقت آخر، قال ابن القيم: إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاباً إنكار المنكر، ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار منكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله؛ فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغض ويمقت أهله. وهذا كالإنكار على الملوك

---

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب، الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري الكوفي، ولد سنة ٩٧ هـ. وتوفي ١٦١هـ. ينظر: السير ٢٢٩/٧، والجرح والتعديل ١٥٥/٦، والحلية ٣٥٦/٦، وتاريخ بغداد ١٥١/٩، والشذرات ٢٥٠/١.

(٢) شرح السنة للبغوي ٥٤/١٠.

(٣) الدرر السنية ٢٥/٧، وتاريخ نجد لابن غنام ٢٢١/١.

والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر.

ومن تأمل ما جرى على الإسلام من الفتن الكبار والصغار، رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر طُلب إزالته، فتولّد منه ما هو أكبر منه [1].

٤- ومن أهم الشروط في المناصحة: الإخلاص فيها لوجه الله تعالى. قال العلامة محمد بن إبراهيم [2] -رحمه الله-: ونصيحة الأمير والمأمور بالسر وبنية خالصة، تعرف فيها النتيجة النافعة للإسلام والمسلمين [3].

وقال ابن النحاس: يجب على الداخل على الأمير أو السلطان بقصد الإنكار أو الموعظة أن يكون قصده في ذلك خالصاً لله -تعالى- فإنه قد يقدم على هذا وقصده أن يكون كلامه سبباً لتعرفه بالسلطان، وطلب المنزلة عنده، أو يكون قصده طلب المحمدة من الناس، وإطلاق ألسنتهم بالثناء

---

(١) إعلام الموقعين ٤/٣.

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، الشيخ العلامة أبو عبد العزيز، مفتي الديار السعودية ورئيس قضائها، ولد سنة ١٣١١هـ، وتوفي سنة ١٣٨٩هـ. ينظر: مقدمة مجموع فتاوى محمد بن إبراهيم ٩/١- ٢٣، ومشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن آل الشيخ ١٦٩.

(٣) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١٨٢/١٢.

عليه، والشكر له، وأن يقال عنه: إنه أغلظ للسلطان وأقدم عليه بالكلام، ولم يبال، فيصير معظماً عند الناس، إلى غير ذلك من المقاصد التي لا تنحصر لتنوع الأغراض.

وهذه مزلة عظيمة يجب التفطن لها، وتحقيق القصد قبل الوقوع فيها، وإلا فربما ناله مكروه في الدنيا وهو فيه غير مأجور، بل آثم مأزور، فليحقق الإنسان قصده، ويحرر نيته، ويحاسب نفسه، وليعلم أن المُحاسِب لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

فإن قلت: فأي شيء يميز النية الصالحة الخالصة من المشبوهة الفاسدة؟ وما العلامة في ذلك؟ وما المعيار في صحته؟.

نقول: محك الاعتبار في ذلك أن يرى المنكر نفسه كالمكره على هذا الفعل، وكالمتكلف له، والمتجشم المشقة فيه، ويود أن لو تصدى لهذا الفعل غيره، وكفاه الله به، ويجب ألا يعلم به أحد من الناس اكتفاءً بعلم الله -تعالى- واطلاعه عليه... ويكون قصده زوال المنكر على أي وجه كان، ولو حصل له مع زواله ازدراء وسب وتغليظ كلام وذم بين الناس، فهذه كلها من علامات الإخلاص، وحسن القصد، وابتغاء وجه الله والدار الآخرة.

وأما غير المخلص؛ فبضد ذلك كله، فيرى نفسه نشاطاً إلى هذا الفعل، ويحب أن يكون جهراً في ملاءٍ من الناس لا سراً، ويُحب أن يُحكى عنه ذلك، وأن يشتهر به، وأن يحمد عليه، ولو نُسب زوال المنكر لغيره لقامت قيامته، ويقضي عمره وهو يحكي ما اتفق له وما قال، متبجحاً بذلك بين أقرانه، وربما زاد في القصة ونقص، وتراه يحب إقبال السلطان عليه وتعظيمه، ولو لم يأخذ بما أمره، ولم ينتهِ عمّا نهاه عنه، ليخرج من عنده قائم الجاه مسرور القلب معظماً عند الرعية، ويشق عليه إعراض السلطان عنه، وحطّ منزلته عنده، وذم الناس له على ما فعل، ولو مع زوال المنكر.

فهذه كلها علامات تدل على سوء القصد وفساد النية وعدم الإخلاص، فتُحبط الأجر وتوجب المقت من الله ﷻ والإعراض يوم الجزاء [1].

والإخلاص في المناصحة يثمر الصبر على ما يأتيه، وقد جاء الأمر بالصبر بعد الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال ﷻ : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ [2]. " علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لابد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر " [3].

---

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين ص٦٢- ٦٦ بتصرف.

(٢) سورة لقمان ١٧.

(٣) من تفسير ابن كثير ٢/١٠٣٢.

وهنا مسألة مهمة ينبغي التنبيه عليها، وهي أنه قد يتبادر إلى الأذهان أن الأمر بالصبر على جور الولاة مدعاة إلى العزلة، وتعطيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ليس بصحيح، فإنه يمكن للإنسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالأساليب الشرعية، دون التعرض للفتنة، والخوض في غمارها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكثير من الناس قد يرى تعارض الشريعة في ذلك، فيرى أن الأمر والنهي لا يقوم إلا بفتنة، فإما أن يأمر بهما جميعاً، أو ينهى عنهما جميعاً، وليس كذلك، بل يأمر وينهى ويصبر على الفتنة، كما قال -تعالى-: ﴿يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾.

قال عبادة رضي الله عنه: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في عسرنا ويُسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثره علينا، وأن لا تنازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم [1]. فأمرهم بالطاعة، ونهاهم عن منازعة الأمر أهله، وأمرهم بالقيام بالحق [2].

---

(١) صحيح البخاري ٧٠٥٦ و٧١٩٩ ، وصحيح مسلم ١٧٠٩.
(٢) الاستقامة ٤١/١.

المبحث الثالث : طاعة ولي الأمر .

أمر الله –سبحانه وتعالى– عباده المؤمنين بطاعة ولي أمرهم، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[1]. " فولاة الأمر هنا الأمراء على قول الجمهور وهو قول أبي هريرة وابن عباس وغيرهم "[2].

قال العلامة ابن سعدي[3]: أمر بطاعته وطاعة رسوله، وذلك بامتثال الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما، وأمر بطاعة أولي الأمر، وهم الولاة على الناس من الأمراء، والحكام، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعةً لله ورغبةً فيما عنده، ولكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم، وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر

---

(١) سورة النساء ٥٩.

(٢) تفسير القرطبي ٤٢٨/٦- ٤٢٩، وينظر: صحيح البخاري ٤٥٨٤، وصحيح مسلم ١٨٣٤، ومصنف ابن أبي شيبة ٢١٢/١٢- ٢١٣، وتفسير الطبري ١٧٦/٧.

(٣) هو عبدالرحمن بن ناصر السعدي، الشيخ العلامة المفسر، ولد سنة ١٣٠٧هـ، وتوفي في عنيزة بالقصيم سنة ١٣٧٦هـ. ينظر: معجم المؤلفين ١٢١/٢- ١٢٢.

إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولوا الأمر، فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية [1].

وقد بيّن رسول الله ﷺ عظيم قدر الطاعة لولي الأمر، ودرجة فضلها، وأنها من طاعته هو ﷺ حيث قال: " من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد عصاني " [2].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "إن خَليلي أوصاني أن أسمع وأُطيعَ، وإن كان عبداً حبشياً مُجدَّع الأطراف" [3]، وفي رواية عند البخاري: "ولو لحبشي كأن رأسه زَبيبة" [4].

وعن ابن عُمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: "على المرءِ المسلم السّمعُ والطاعة فيما أحبَّ وكره إلا أن يُؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة" [5].

---

(١) تفسير ابن سعدي ص١٨٣- ١٨٤.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فأخرجه البخاري رقم ٧١٣٧، ومسلم رقم ١٨٣٥.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المنفرد (١١٣)، ومسلم (٦٤٨)، وابن ماجه (٢٨٦٢)، والبغوي (٣٩١).

(٤)أخرجه البخاري (٦٩٣) و(٧١٤٢)، وأحمد ١١٤/٣، وابن ماجه (٢٨٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٥٥) و(٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩)، والترمذي (١٧٠٧)، والنسائي ١٦٠/٧، وأحمد ١٧/٢، وأبو داود (٢٥٣٦).

ومما يلتحق بطاعة ولي الأمر عدة أمور: الصلاة خلفه، والجهاد والحج معه، وطاعة نوابه، وتوقيره، وإكرامه، والدعاء له، ومناصحته، والصبر على جوره[1].

المبحث الرابع: تحريم طاعة ولي الأمر في المعصية.

إن دين الإسلام هو دين الكمال الذي لا يتطرق إليه نقص، قال الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2]، وهذه الشريعة السّمحة اهتمت بجميع جوانب الحياة الإنسانية، فلم تهتم بجانب على حساب جانب آخر، وأعطت كل ذي حقٍ حقه، وضبطت العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ونظّمت التعامل بين الراعي والرعية، فكما أنها أوجبت الطاعة على الرعية، فإنها لم تَجعل ولي الأمر حاكماً بأمره، مطلقَ اليد، يأمر وينهى كيفما يشاء، بل جعلت له حقَّ الطاعة، وحق الطاعة مترتب على كون ولي

---

(١) ينظر من كتب السلف: منهاج السنة ٥/٢٤٧، ومجموع الفتاوى ٢٣/٣٥٢، وشرح الطحاوية ٥٢٩ و٥٥٥- ٥٥٧، والمغني لابن قدامة ١٣/١٤- ١٥، والأحكام السلطانية لأبي يعلى ٢٨، وطبقات الحنابلة ٢/٣٦، وسراج الملوك ٢/٤٦٥، وتفسير القرطبي ٥/٢٠٩، وشرح السنة ١٣/٤١.

(٢) سورة المائدة: ٣.

الأمر مسلماً، وفي الأمر لمعين بمعين يشترط في الطاعة أن يكون ذلك الأمر ليس بمعصية، وما ليس كذلك تجب الطاعة فيه كالأمور الاجتهادية ونحو ذلك، وإن أمر بمعصية الله؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله–: (كأنه قيل: فإن لم يعملوا بالحق فلا تطيعوهم، وردّوا ما تخالفتم فيه إلى الله ورسوله)[2].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: بعثَ النبي ﷺ سريّة، وأمَّر عليها رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يُطيعوه، فغضبَ عليهم، وقال: أليس قد أمرَ النبي ﷺ أن تُطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: عزمتُ عليكم لما جَمعتم حطباً وأوقدتم ناراً، ثم دَخلتم فيها. فجمعوا حطباً، وأوقدوا ناراً، فلما هَمّوا بالدخول، فقام ينظر بعضُهم إلى بعض، فقال بعضهم: إنما تَبعنا النبي ﷺ فراراً من النار، أفندخلها ؟! فبينما هُم كذلك إذ خمدت النار، وسكن

(١) سورة النساء ٥٩.

(٢) فتح الباري ١١٢/١٣.

غضبه، فذُكر للنبي ﷺ ، فقال: "لو دخلوها ما خَرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف "[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره، إلا أن يؤمَر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[2].

قال الشيخ أحمد شاكر –رحمه الله تعالى– في تعليقه على هذا الحديث: (وهذا الحديث أصل جليل خطير من أصول الحكم، لا نعلم أنه جاء في شريعةٍ من الشرائع، ولا في قانون من القوانين على هذا الوضع السليم الدقيق المحدد، الذي يحدد سلطة الحاكم، ويَحفظ على المحكوم دينَه وعزته، فقد اعتاد الملوك والأمراء، واعتادت الحكومات في البلاد التي فيها حكوماتٌ منظمة وقوانين، أن يأمروا بأعمال يرى المكلف بها أن لا مندوحة له عن أداءِ ما أُمر به، وصارت الرعية في هؤلاء وهؤلاء، لا يُطيعون فيما أُمروا به إلا أن يوافق هوًى لهم أو رغبةً عندهم، وإلا اجتهدوا أن يُقصّروا في أداء ما أمروا به ما وجدوا للتقصير سبيلا، لا يلاحقهم فيه عقاب أو خوف، وكل هذا باطل وفاسد، تختل به أداة الحكم، وتضطرب معه الأنظمة والأوضاع، إذ لا يَرون أن

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٦)، (٤٩٤٩) و(٦٢١٧)، ومسلم (٢٦٤٧)، والترمذي (٢١٣٦)، وأحمد ٨٢/١، وابن حبان (٣٣٤)، وابن ماجه (٧٨).
(٢) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

الطاعة واجبةٌ عليهم، وإذ يطيعون في بعض ما يطيعون شبه مرغمين، إذا لم يوافق هَواهم ولم يكن مما يُحبون.

أما الشرعُ الإسلامي، فقد وضع الأساس السّليم، والتشريع المحكم بهذا الحديث العظيم؛ فعلى المرء المسلم أن يُطيع من له عليه حق الأمر من المسلمين، فيما أحبَّ وفيما كره، وهذا واجب عليه يأثم بتركه، سواء أعرف الآمرُ أنه قصَّر أم لم يعرف، فإنه ترك واجباً أوجبه الله عليه، وصار ديناً من دينه إذا قصر فيه كان كما لو قصَّر في الصلاة أو الزكاة أو نحوهما من واجبات الدين التي أوجب الله. ثم قُيِّد هذا الواجب بقيد صحيح دقيق، يجعل للمكلف الحق في تقدير ما كُلِّف به، فإن أمره من له الأمر عليه بمعصيةٍ، فلا سمع ولا طاعة، لا يجوز أن يعصي الله –تعالى– بطاعةِ المخلوق، فإن فعل؛ كان عليه الإثم كما كان على مَنْ أمَره، لا يُعذَر عند الله بأنه أتى هذه المعصية بأمرِ غيره، فإنه مكلف مسؤول عن عمله، شأنُه شأن آمِرِه سواء.

ومن المفهوم بَداهةً أن المعصية التي يجب على المأمور أن لا يُطيع فيها الآمرَ، هي المعصية الصريحة التي يدلُّ الكتاب والسنة على تحريمها، لا المعصية التي يتأول فيها المأمور

ويتحايل، حتى يوهم نفسَه أنه إنما امتنع لأنه أُمِرَ بمعصية، مُغالطة لنفسه ولغيره)[1].

وأختم هذا المبحث بكلمة لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى- حيث يقول: (إنهم -أي أهل السنة والجماعة- لا يُجوّزون طاعةَ الإمام في كل ما يأمر به، بل لا يُوجبون طاعته إلا فيما تَسوغ طاعته فيه في الشريعة، فلا يجوّزون طاعته في معصية الله وإن كان إماماً عادلاً، فإذا أمَرهم بطاعة الله أطاعوه، مثل أن يأمرهم بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصدق، والعدل، والحج، والجهاد في سبيل الله، فهم في الحقيقة إنما أطاعوا الله. والكافرُ والفاسق إذا أمرَ بما هو طاعة لله لم تحرم طاعة الله، ولا يسقط وجوبها لأمر ذلك الفاسق بها، كما أنه إذا تكلَّم بحق لم يجز تكذيبه، ولا يسقط وجوب اتباع الحق لكونه قد قاله فاسق)[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ٣٠١/٦- ٣٠٢.
(٢) منهاج السنة النبوية ٧٦/٢.

الفصل الثالث
لـزوم الجماعـة

المبحث الأول: الأدلة على وجوب لزوم الجماعة .

تواترت الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف في الأمر بلزوم الجماعة، والتحذير من التفرق. وسنركّز هنا على إيراد الأدلة من القرآن والسنة وكلام بعض الصحابة –رضي الله عنهم– في هذا الأمر.

فمن القرآن قوله –تعالى–: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1]. قيل في تفسير حبل الله: الجماعة. قال ابن مسعود ﷺ : حبل الله الجماعة[2]. وقال أيضاً: يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة هو خير مما تستحبون في الفرقة[3]. وجاء في تفسير هذه الآية حديث رواه أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار

---

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

(٢) تفسير الطبري ٦٤٤/٥ ، وسنن سعيد بن منصور ٥٢٠ ، ومعجم الطبراني ٩٠٣٣.

(٣) تفسير الطبري ٦٤٨/٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٢٣/٣ (٣٩١٦).

إلا واحدة. قيل: من هذه الواحدة ؟ قال: فقبض يده وقال: " الجماعة ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[1].

وقال ابن عباس: الجماعة الجماعة. إنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها، أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[2].

وفي تفسير حبل الله ﷻ أقوال أخرى، ذكرها المفسرون، وهي متقاربة متداخلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد فُسر حبله بكتابه، وبدينه، وبالإسلام، وبالإخلاص، وبأمره، وبعهده، وبطاعته، وبالجماعة. وهذه كلها منقولة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وكلها صحيحة، فإن القرآن يأمر بدين الإسلام، وذلك هو عهده وأمره وطاعته، والاعتصام به جميعاً إنما يكون في الجماعة، ودين الإسلام حقيقته الإخلاص لله[3].

---

(١) تفسير الطبري ٦٤٨/٥، وابن أبي حاتم ٧٢٣/٣ (٣٩١٥)، وأخرجه ابن ماجه ٣٩٩٣، وصححه الألباني كما في صحيح ابن ماجه ٣٢٢٧، وأحمد في المسند ١٤٥/٣ و١٢٠، وابن أبي عاصم في السنة ٦٤، والآجري في الشريعة ص١٦ و١٧.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٤٥٥/٢، والدر المنثور للسيوطي ٧١٢/٣.

(٣) منهاج السنة ١٣٤/٥، وينظر في تفسير الآية: تفسير ابن كثير ٢٤٩/١، وتفسير البغوي ٧٨/٢، وتفسير الماوردي ٣٣٧/١، وتفسير ابن الجوزي ٤٣٣/١.

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [1]، قال ابن مسعود ﷺ : خطّ لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: "هذا سبيل الله" ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: "هذه سُبُل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه" ثم قرأ الآية [2].

قال ابن عباس –رضي الله عنهما-: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة [3].

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ .. ﴾ [4]. روى البغوي[5] في تفسيرها قوله ﷺ: "من سرّه بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة" [6]. قال ابن عباس في تفسير

---

(١) سورة الأنعام ١٥٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤٣٥/١ بإسناد حسن، والطيالسي ٢٤٤، والدارمي ٦٧/١، وابن أبي عاصم في السنة ١٧، والنسائي في الكبرى ١١١٧٤، والحاكم ٣١٨/٢، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير الطبري ٦٧٠/٩، وتفسير ابن كثير ٣٦٠/٣.

(٤) سورة آل عمران ١٠٥.

(٥) هو الحسين بن مسعود بن محمد، الشيخ العلامة المعروف بابن الفراء البغوي الشافعي، عالم مفسر محدث فقيه، توفي سنة ٥١٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٤٠٢/١، وطبقات السبكي ٢١٤/٤، وتذكرة الحفاظ ٥٢/٤، والشذرات ٤٨/٤.

(٦) تفسير البغوي ٨٦/٢، والحديث أخرجه أحمد في المسند ١٨/١ عن عمر بإسناد صحيح، والحاكم ١١٤/١، وصححه ووافقه الذهبي،

الآية: أمر الله –جل ثناؤه– المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة (1).

والآيات كثيرة في الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة (2).

وقد ساق بعضها الإمام الآجري(3) ثم قال: فهل يكون من البيان أشفى من هذا عند من عقل عن الله ﷻ ؟ (4).

وأما الأحاديث في الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة، فكثيرة، نذكر منها الآتي:

قال حذيفة ﷺ : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، قلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: ما دخنه؟ قال: " قوم يهدون بغير

والترمذي ٢١٩٥، وابن أبي عاصم في السنة ٨١ و٨٩٧ وغيرهم، وبحبوحة الجنة: وسط الجنة.

(١) تفسير الطبري ٦٦٣/٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٢٨/٣ (٣٩٤٥).

(٢) ينظر مثلاً: سورة الروم ٣٠- ٣٢، وسورة المؤمنون ٥٢- ٥٣، وسورة الشورى ١٣.

(٣) هو محمد بن الحسين بن عبد الله، الإمام الحافظ أبو بكر الآجري، توفي سنة ٣٦٠هـ. ينظر: تاريخ بغداد ٢٤٣/٢، ووفيات الأعيان ٦١٧/١، وتذكرة الحفاظ ١٣٩/٣، والشذرات ٣٥/٣.

(٤) الشريعة ص٥. وينظر: الاعتصام للشاطبي ١٤٩/١- ١٥١- ١٥٦- ١٥٧.

هديي، تعرف منهم وتنكر " قلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها " قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟. قال: "هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا" قلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم " قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: " فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك "[1].

قال الحافظ ابن حجر في شرحه: " ولو أن تعض بأصل شجرة ": هو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عصوا[2].

ومن الأحاديث –وقد تقدم- قوله ﷺ: " من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ".

وقوله ﷺ: " من ترك الطاعة وفارق الجماعة ثم مات، فقد مات ميتة جاهلية "[3]. وثبت بلفظ: " من خرج عن الطاعة.... "[4].

---

(١) صحيح البخاري ٧٠٨٤، ونحوه عند مسلم رقم ١٨٤٧.
(٢) فتح الباري ١٣/٣٦.
(٣) صحيح مسلم ١٨٤٨ عن أبي هريرة .
(٤) المصدر السابق.

وقوله ﷺ: " الجماعة رحمة والفرقة عذاب "[1].

وقوله ﷺ: " من فارق الجماعة واستذلّ الإمارة، لقي الله ولا وجه له عنده "[2].

وقوله ﷺ: " وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنه من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع "[3].

وقوله ﷺ: " إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية، والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة، والعامة، والمسجد "[4].

والأحاديث كثيرة في تقرير ذلك[5].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٧٨/٤، والقضاعي في الشهاب ١٥ و٣٧٧، والبيهقي في الشعب ٩١١٩، وغيرهم، والإسناد حسن.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٨٧/٥، والقضاعي في الشهاب ٤٤٩، والحاكم ١١٩/١ و١٠٤/٣، وابن أبي شيبة ٢١/١٥ و٢٣، وأبو نعيم في الحلية ٢٨٠/١، والإسناد حسن.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١٣٠/٤ بإسناد صحيح، والطبراني في الكبير ٣٤٢٧، والطيالسي ١١٦١ و١١٦٢، والترمذي ٢٨٦٣ و٢٨٦٤، وأبو يعلى ١٥٧١، والحاكم ١١٧/١ و١١٨، وصححه ووافقه الذهبي، والربقة: عروة من حبل.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢٣٣/٥، عن معاذ بن جبل، والإسناد حسن لغيره.

(٥) ينظر: مجمع الزوائد ٢١٦/٥ وما بعدها، وشرح السنة للبغوي ٤٥/١٠ وما بعدها، والشريعة ص٧، والإبانة لابن بطة ٢٨١/١،

وكان الصحابة -رضوان الله عليهم- على هذا المنهج السديد في الأمر بلزوم الجماعة والتحذير من الفرقة، وفيما يلي بعض أقوال الصحابة في ذلك:

- قال علي بن أبي طالب ﷺ : من فارق الجماعة شبراً فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه [1].

- وقال معاذ بن جبل ﷺ : يد الله فوق الجماعة فمن شذّ لم يبال الله بشذوذه [2].

- وقال حذيفة ﷺ : من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه[3]. وبلفظ: من فارق الجماعة شبراً فارق الإسلام [4].

- وقال ابن مسعود ﷺ : أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به [5].

والشعب للبيهقي ٦/٥٩، وكشف المناهج للمناوي ٣/٢٦٨، ورياض الصالحين للنووي ٧٩، وكنز العمال للهندي ١/٢٠٥.

(١) الإبانة لابن بطة ١/٢٨٩ رقم ١٢٠، ومصنف ابن أبي شيبة ٣٨١٥١.

(٢) الإبانة ١/٢٨٩ رقم ١١٩.

(٣) الإبانة ١/٢٩٠ رقم ١٢٢.

(٤) الإبانة ١/٢٩٠ رقم ١٢٣. وينظر: المصنف لابن أبي شيبة ٣٨١٤٠ و٣٨١٥٠.

(٥) الإبانة ١/٢٩٧ رقم ١٣٣ وقد تقدم هذا الأثر.

- وقال ابن عباس رضي الله عنه : من خرج عن الطاعة شبراً فمات، فميتته جاهلية [1].

قال الإمام الآجري –بعد ذكره الآيات والأحاديث والأقوال عن بعض الصحابة في الأمر بلزوم الجماعة–: علامة من أراد الله عز وجل به خيراً : سلوك هذه الطريق، كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنن أصحابه –رضي الله عنهم– ومن تبعهم بإحسان –رحمة الله تعالى عليهم– وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء.. ومن كان على مثل طريقهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء [2]

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٣٣٩/١١ رقم ٢٠٧٠٨ ، ومصنف ابن أبي شيبة ٣٨١٥٤.

(٢) الشريعة ص١٤.

المبحث الثاني : المراد بلفظ الجماعـة .

من الألقاب التي دائماً ما يلقب بها أهل السنة: الجماعة، فيقال: ذهب أهل السنة والجماعة إلى كذا وكذا، ويقال: حذر أهل السنة والجماعة من كذا وكذا. وهذا اللقب ثابت لهم بنص كلام المصطفى ﷺ ، قال: " إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة " [1]. فالمقصود بالجماعة هنا أهل السنة، لأنهم أتباع الرسول ﷺ وأصحابه، وهؤلاء هم جماعة المسلمين.

قال البربهاري[2] : والأساس الذي بيّنا عليه الجماعة هم أصحاب محمد ﷺ -رحمهم الله أجمعين- وهم أهل السنة والجماعة [3].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٠٢، عن معاوية رضي الله عنه ، وأبو داود ٤٥٩٧ ، وغيرهم، والإسناد حسن. ونحوه عن أنس عند ابن ماجه في سننه ٣٩٩٣ ، وابن أبي عاصم في السنة ٦٤ ، وقد صححه الألباني في ظلال الجنة ١/٣٢.

(٢) هو الحسن بن علي بن خلف، الإمام شيخ الحنابلة أبو محمد البربهاري، كان قوالاً بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم. توفي سنة ٣٢٨هـ. ينظر: السير ١٥/٩٠ ، وطبقات الحنابلة ٢/١٨ ، والعبر ٢/٢١٦ ، والشذرات ٢/٣١٩.

(٣) شرح السنة ص٢١.

وقال أبو شامة(1) : وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً، والمخالف كثيراً، لأن الحق: الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم- ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم(2).

وقال ابن أبي العز(3) : والجماعة جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين(4).

فيتضح بذلك أن لفظ الجماعة من الألفاظ التي تقترن بأهل السنة دائماً.

إذا تقرر أن الجماعة هم أهل السنة، فما المقصود بهم تحديداً؟!

---

(1) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، الإمام العلامة شهاب الدين أبو شامة المقدسي الأصل الدمشقي الشافعي، ولد سنة ٥٩٩هـ، توفي سنة ٦٦٥هـ، ينظر: طبقات السبكي ٥/٦١، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٤٣، وفوات الوفيات ١/٢٥٢، والشذرات ٥/٣١٨.

(2) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص٣٤.

(3) هو علي بن علاء الدين علي بن شمس الدين، الإمام العلامة صدر الدين الدمشقي الصالحي الحنفي المعروف بابن أبي العز، ولد سنة ٧٣١هـ، وتوفي سنة ٧٩٢هـ. ينظر: إنباء الغمر لابن حجر ٢/٩٥ و٣/٥٠، والشذرات ٦/٣٢٦، ومقدمة شرح الطحاوية ص٦٧.

(4) شرح العقيدة الطحاوية ص٥٤٤. وينظر: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع د/ إبراهيم الرحيلي ١/٤٩- ٥١.

للعلماء في تفسير لفظ الجماعة الوارد في الحديث عدة أقوال[1]، وهي:

١- أن الجماعة هم الصحابة دون من بعدهم " فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أبداً "[2]. وهذا القول مروي عن عمر بن عبد العزيز[3]، رحمه الله.

قال الشاطبي[4]: فعلى هذا القول فلفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى في قوله -عليه الصلاة والسلام- في حديث الافتراق -حينما سُئل عن الفرقة الناجية-: "ما أنا عليه وأصحابي"[5]. فكأنه راجع إلى ما قالوه وما سنوه، وما اجتهدوا

---

(١) وهي كلها تدور على اعتبار أن أهل السنة هم المعنيون بالجماعة.

(٢) من كلام الشاطبي في الاعتصام ٢/٢٦٢، وينظر: فتح الباري ١٣/٣٧.

(٣) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الخليفة الراشد أشج بني أمية، ولد سنة ٦٣هـ، وولي الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ، وتوفي سنة ١٠١هـ. ينظر: السير ٥/١١٤، وتذكرة الحفاظ ١/١١٨، والشذرات ١/١١٩.

(٤) هو إبراهيم بن موسى بن محمد، الشيخ العلامة أبو إسحاق الشاطبي المالكي. عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٧٩٠هـ. ينظر: نيل الابتهاج للتنبكتي ٤٦، والمجددون في الإسلام ٣٠٧، ومعجم المؤلفين ١/٧٧.

(٥) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو رقم ٢٦٤١، وحسنه، والحاكم ١/١٢٩، والآجري في الشريعة ص١٥- ١٦، وكلام الشاطبي في الاعتصام ٢/٢٦٣.

فيه حجة على الإطلاق، فأهل البدع إذاً غير داخلين في الجماعة قطعاً على هذا القول "[1].

٢- وقيل: إن الجماعة هم أهل الحديث أو أهل العلم المجتهدون " لأن الله جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين"[2]. وهو قول الإمام البخاري[3] -رحمه الله- قال: باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[4]، وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم[5]. وهو قول إمام أهل السنة الإمام أحمد[6].

---

(١) من كلام د/ إبراهيم الرحيلي في موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع ٥٢/١- ٥٣.

(٢) من فتح الباري ٣٧/١٣.

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الإمام الكبير أبوعبد الله صاحب الصحيح. ولد سنة ١٩٤هـ، وتوفي سنة ٢٥٦هـ. ينظر: السير ٣٩١/١٢، وطبقات الحنابلة ٢٧١/١، وتاريخ بغداد ٤/٢ و٣٣، والشذرات ١٣٤/٢.

(٤) سورة البقرة ١٤٣.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، مع الفتح ٣١٦/١٣. ٣١٦/١٣.

(٦) شرف أصحاب الحديث رقم ٤٨، ومعرفة علوم الحديث للحاكم٢، مناقب أحمد لابن الجوزي ٢٣٤، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٩٣/١٣: إسناده صحيح.

والترمذي[1] قال: وتفسير الجماعة عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث[2]. وغيرهم [3].

فعلى هذا القول فالجماعة هم أهل السنة العالمون المجتهدون، فيخرج منهم المبتدعة، كما يخرج العامة المقلدة، لأن الغالب فيهم أنهم تبع للعلماء.

٣- أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية، سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم، فهو مخالف للحق. وينصر ذلك رواية حديث الافتراق، وفيه أن الفرقة الناجية هم السواد الأعظم [4]. ممن قال بهذا القول أبو مسعود الأنصاري[5] رضي الله عنه وابن مسعود[6] رضي الله عنه .

---

(١) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الإمام الحافظ صاحب السنن، ولد في حدود سنة ٢١٠هـ، وتوفي سنة ٢٧٩هـ. ينظر: السير ١٣/٢٧٠، ووفيات الأعيان ٤/٢٧٨، وتذكرة الحفاظ ٢/٦٣٣، والشذرات ٢/١٧٤.

(٢) سنن الترمذي ٤/٤٠٥ إثر حديث رقم ٢١٦٧.

(٣) مثل الإمام ابن المبارك، وابن المديني، وأحمد بن سنان، ويزيد بن هارون. ينظر: المحدث الفاصل ٢٧، وشرف أصحاب الحديث ٤٩ و٤٦ و٥٠ و٥١، وسنن الترمذي ٤/٤٠٥ .

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة رقم ٦٨ عن أبي أمامة بإسناد ذكر محققه د/ فيصل الجوابرة أنه صحيح لغيره (١/٧٨ حاشية (١)). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة في المصنف ١٥/٣٠٧- ٣٠٨، والطبراني في الكبير ٨/٣٢٨.

(٥) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١٦٢- ١٦٣.

(٦) المصدر السابق ٥٨- ١٥٩، والشريعة للآجري ١٣.

قال الشاطبي: فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلماؤها، وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم، لأنهم تابعون لهم، ومقتدون بهم، فكل من خرج من جماعتهم فهم الذين شذوا، وهم نهبة الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع، لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة، لم يدخلوا في سوادهم بحال[1].

وقال الآجري: فمن أراد الله تعالى به خيراً فتح له باب الدعاء، والتجأ إلى مولاه الكريم، وخاف على دينه، وحفظ لسانه، وعرف زمانه، ولزم الحجة الواضحة السواد الأعظم[2].

٤- وقيل: إن الجماعة هم جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر من أمور الشرع سواء في أمور الأحكام أو المعتقدات، يقول الكرماني [3]: يلزم على المكلف متابعة حكم الجماعة والاعتصام به، وهو اتفاق المجتهدين من الأمة في عصر على أمر ديني[4]. فهذا القول القول يفسر الجماعة بأهل الإجماع، ولذا فهو قريب من القول الثاني.

---

(١) الاعتصام ٢/ ٢٦١.

(٢) الشريعة ص٤٤.

(٣) هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، الشيخ العلامة شمس الدين الكرماني الشافعي، ولد سنة ٧١٧هـ، وتوفي سنة ٧٨٦هـ. ينظر: بغية الوعاة للسيوطي ١٢٠، والدرر الكامنة ٤/ ٣١٠، والبدر الطالع ٢/ ٢٩٢، ومعجم المؤلفين ٣/ ٧٨٤.

(٤) الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري ٢٥/ ٧٥.

٥- إن الجماعة هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، قال الحافظ: والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة[1]. وقال القرطبي -في شرحه حديث: "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة"-: يعني بالطاعة: طاعة ولاة الأمر، وبالجماعة: جماعة المسلمين على إمام[2].

قال الشاطبي: وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهم[3].

هذه أبرز الأقوال في الجماعة، وحاصلها أن الجماعة ترجع إلى أمرين:

أحدهما: أن الجماعة هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع، فيجب لزوم هذه الجماعة، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها.

الثاني: أن الجماعة ما عليه أهل السنة من الاتباع وترك الابتداع، وهو المذهب الحق الواجب اتباعه والسير على

---

(١) فتح الباري ٣٧/١٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٥٩/٤.

(٣) الاعتصام ٢٦٥/٢.

منهاجه، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة، أو أهل العلم والحديث أو الإجماع أو السواد الأعظم، فهي كلها ترجع إلى معنى واحد، هو: ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه. فيجب حينئذ، ولو كان المتمسك بهذا قليلاً، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك[1] وقال: إنما الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً، واتباع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة "[3] ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدى محمد ﷺ على هدى كل

---

(١) شرح أصول الاعتقاد ١٦٠.

(٢) الحوادث والبدع لأبي شامة ٢٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٢٦ عن العرباض بن سارية، والحاكم ١/٩٦، وابن ماجه ٤٣، وابن أبي عاصم في السنة ٣٣ و٤٨ و٥٦ وغيرهم، والحديث صحيح بطرقه وشواهده. طبعة المسند المحققة ٢٨/٣٦٧ (١٧١٤٢).

أحد، وبهذا سموا بأهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يَزِنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالدين [1].

ولهذا نجد أحياناً بعض العلماء يفسرون الجماعة بأشخاص تمثل فيهم المنهج الحق والاتباع، سُئل ابن المبارك[2] عن الجماعة فقال: أبو بكر وعمر، فقيل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: ففلان وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان، قال: أبو حمزة السكري[3] جماعة[4] . فأراد ابن المبارك أن يفسر الجماعة بمن اجتمعت فيه صفات الاتباع الكامل للكتاب والسنة [5].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥٧/٢.

(٢) هو عبد الله بن المبارك بن واضح، الإمام الكبير أبو عبد الرحمن المروزي، ولد سنة ١١٨هـ، وتوفي سنة ١٨١هـ. ينظر: السير ٣٣٦/٨، والجرح والتعديل ١٧٩/٥، وتاريخ بغداد ١٥٢/١٠، وتذكرة الحفاظ ١٧٤/١، والشذرات ٢٩٥/١.

(٣) هو محمد بن ميمون، الإمام الحافظ أبو حمزة السُّكري المروزي. أحد الثقات، توفي سنة ١٦٧هـ. ينظر: السير ٣٨٥/٧، والجرح والتعديل ٨١/٨، وتاريخ بغداد ٢٦٦/٣، والشذرات ٢٦٤/١.

(٤) سنن الترمذي ٤٠٥/٤. وينظر: السير ٣٨٧/٧.

(٥) موقف ابن تيمية من الأشاعرة للشيخ د/ عبد الرحمن المحمود ٣٢/١.

الفصل الرابع

مباحث عقدية أخرى

المبحث الأول: حجية خبر الآحاد في العقيدة .

ينقسم الخبر باعتبار وصوله إلينا إلى قسمين: متواتر وآحاد .

فالمتواتر ما رواه جمع كثير تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، واستندوا في أخبارهم إلى الحس[1].

وهذا التعريف يقتضي أن صفة التواتر لا تتحقق في الخبر إلا بالشروط التالية:

١- أن يرويه عدد كثير.

٢- أن تحصل هذه الكثرة من العدد في جميع طبقات السند.

٣- أن يحكم العقل عادة باستحالة اتفاق الرواة على اختلاق هذا الخبر.

٤- أن يكون مستند خبرهم الحس، بأن يقولوا: سمعنا أو رأينا أو نحوه وليس مجرد العقل[2].

---

(١) ينظر: تدريب الراوي للسيوطي ١٧٦/٢ ، ونزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر ١٨- ٢٢.

(٢) ينظر: الخلاصة في أصول الحديث للطيبي ٣٤- ٣٥ ، وفتح المغيث للسخاوي ٣٧/٣، ونزهة النظر ٢١.

وأما خبر الآحاد فهو ما لم يجمع شروط المتواتر، أي أنه خبر الواحد والاثنين والثلاثة بشرط ألا يصل إلى حد التواتر [1].

وخبر الآحاد إذا ثبت عن رسول الله ﷺ ؛ فهو حجة فيما دل عليه اعتقاداً أو عملاً.

وهل يفيد الظن أم العلم ؟ المسألة فيها خلاف، فمن العلماء من ذهب إلى أن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن، وبنى على ذلك أنه لا يحتج به في العقيدة، لأن العقيدة يُطلب فيها اليقين، ومنهم من ذهب إلى أنه يفيد اليقين ، فيحتج به مطلقاً، ومنهم من فصّل فقال: يفيد العلم إن احتفت به قرائن، وإلا فالظن[2]. والخبر المحتف بالقرائن أنواع :

١- ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما مما لم يبلغ حد التواتر.

٢- الخبر المشهور[3] إذا كانت له طرق متباينة سالمة من ضعف الرواة والعلل.

---

(١) ينظر: خلاصة الطيبي ٢٣٦ ، وعلوم الحديث لابن الصلاح ٢٤١ ، والمنهل الروي لابن جماعة ٣٢ ، ومهمات علوم الحديث لإبراهيم الكليب ص٩٣.

(٢) ينظر: خبر الواحد وحجيته د/ أحمد الشنقيطي ص٦٧ وما بعدها.

(٣) الخبر المشهور عند أهل الحديث ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين، ولم يبلغ حد التواتر. ينظر: علوم الحديث لابن الصلاح ٢٣٨ ، وتدريب الراوي ١٧٣/٢ ، والخلاصة ٥٢.

٣-الخبر المسلسل بالأئمة الحفاظ المتقنين، بحيث لا يكون غريباً [١].

قال الحافظ ابن حجر –بعد ذكره هذه الأنواع-: ومُحصّل الأنواع الثلاثة التي ذكرناها: أن الأول يختص بالصحيحين، والثاني بما له طرق متعددة، والثالث بما رواه الأئمة. ويمكن اجتماع الثلاثة في حديث واحد، فلا يبعد حينئذ القطع بصدقه. والله أعلم [٢].

فيتضح أن القول الحق إفادة خبر الواحد العلم إن احتفّ بالقرائن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولهذا كان الصحيح أن الخبر الواحد قد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تفيد العلم[٣]. وقال: إنه يوجب العلم عند جمهور العلماء [٤].

والأدلة على أن خبر الواحد إذا صح عن رسول الله ﷺ يجب الاحتجاج به في إثبات العقيدة وسائر الأحكام الشرعية كثيرة من القرآن والسنة وعمل الصحابة ومنها:

---

(١) الخبر الغريب هو الحديث الذي تفرد بروايته راوٍ واحد في جميع طبقات السند، أو بعضها. ينظر: علوم الحديث ٢٤٣، وتدريب الراوي ٢/ ١٨٠.

(٢) نزهة النظر ص٧٤- ٧٨.

(٣) مجموع الفتاوى ١٨/ ٤٠، والمسودة ص٢٤٨.

(٤) مجموع الفتاوى ١٨/ ٤١. وينظر: مختصر الصواعق لابن القيم ٥٢٨.

١- الأدلة الكثيرة التي تدل على وجوب اتباع النبي ﷺ وطاعته وتنفيذ ما يصل إلينا عنه على سبيل العموم دون تفريق بين متواتر وآحاد، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [1]، وقال: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [2]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [3].
وقوله ﷺ: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى". قالوا: يا رسول الله ومن يأبي؟ قال: " من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى " [4]، وقوله ﷺ: " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من

(١) سورة الأحزاب ٣٦.
(٢) سورة النور ٦٣.
(٣) سورة النساء ٥٩.
(٤) صحيح البخاري ٦٨٥١ عن أبي هريرة.

حرام فحرموه، وإنما حرم رسول الله كما حرم الله " [1]، وقال: " لا ألفينّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه " [2].

٢- إجماع الصحابة على قبول خبر الواحد في وقائع كثيرة، منها خبر تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة[3]، فقد غير بعض الصحابة قبلتهم بخبر واحد. ومنها خبر تحريم الخمر، فقد كان بعض الصحابة يشرب الخمر فجاءهم فقال: "إن الخمر قد حرمت، فكسروا جرار الخمر التي عندهم"[4]. قال الحافظ ابن حجر: وهو حجة قوية في قبول خبر الواحد [5].

٣- ما تواتر واشتهر من إرسال رسول الله ﷺ الواحد والاثنين من أصحابه إلى البلدان والأقطار للدعوة وتعليم الناس وتبليغ الرسائل ونحو ذلك.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان مكلفاً بالتبليغ بطريق يحصل بها العلم، وتلزم الحجة، ولو لم يكن خبر الآحاد مفيداً لذلك؛ لما

---

(١) سنن أبي داود رقم ٤٦٠٤ عن المقداد وهو صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود للألباني رقم ٣٨٤٨.

(٢) سنن أبي داود رقم ٤٦٠٥ عن أبي رافع وهو صحيح. ينظر صحيح سنن أبي داود رقم ٣٨٤٩.

(٣) صحيح البخاري ٧١٥١، وصحيح مسلم ٥٢٦ عن ابن عمر.

(٤) صحيح البخاري ٧٢٥٣ عن أنس.

(٥) فتح الباري ٢٣٨/١٣.

اكتفى ﷺ بإرسال الواحد والاثنين من أصحابه، كما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن، وكذا أبا موسى وعلي بن أبي طالب، وكذا رسله إلى هرقل، وكسرى، وملك الحبشة، وإلى بعض قبائل العرب، وغير ذلك [1].

ومما ينبغي أن يعلم أنه لا فرق في حجية خبر الآحاد بين الأحكام والعقائد، فهو حجة لكليهما، فالسلف من الصحابة والتابعين كانوا يتلقون الأحاديث كلها دون تفريق، ويؤمنون بما جاءت به ويصدقون، ويعملون بما فيها من أحكام. والإسناد الصحيح الذي يروون به حكماً من أحكام الصلاة، أو الزكاة، أو الحدود، أو النكاح، فيعملون بمقتضاه، هو نفسه الإسناد الذين يروون بطريقه حديثاً في الصفات، أو الرؤية، أو القدر، أو غيره، دون أن يفرقوا بين هذه الأحاديث المروية التي جاءت بهذا الإسناد [2].

كما أن الأئمة الأربعة يحتجون بخبر الآحاد دون التفريق بين العقائد والأعمال [3].

(١) مهمات علوم الحديث للكليب ص٩٨.

(٢) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة د/ عبد الرحمن المحمود ٢/٧٥٠-٧٥١.

(٣) ذكر الأخ د/ أحمد الحربي نماذج من أقوال الأئمة أحمد، والشافعي، ومالك، وأبي حنيفة، في ذلك. ينظر: الماتريدية، دراسة وتقويماً ص١٨٠-١٨١.

المبحث الثاني: **صفة الرحمة، وصفة اليد لله -سبحانه وتعالى-**.

قبل الشروع في الكلام على هاتين الصفتين، يحسن أن نذكر باختصار تقسيم أهل السنة للصفات، فهم يقسمونها إلى قسمين:

الأول: الصفات الثبوتية، وهي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

الثاني: الصفات السلبية، وهي ما نفاها الله -سبحانه- عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب.

والصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين:

الأول: ذاتية، وهي التي لم يزل الله -تعالى- ولا يزال متصفاً بها، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، ومنها الصفات الخبرية، كالوجه، واليدين، والعينين.

الثاني: فعلية، وهي التي تتعلق بمشيئة الله إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة الذاتية فعلية باعتبارين، كالكلام الإلهي، فهو صفة ذاتية وصفة فعلية[1].

المطلب الأول: صفة الرحمة لله –سبحانه وتعالى–.

صفة الرحمة من الصفات الذاتيةا الفعلية[2].وهي ثابتة بالكتاب، والسنة، والإجماع. فمن الكتاب آيات كثيرة، ومنها: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [3]، وقوله: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [4]، وقوله: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [5]، وقوله: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [6]. فوصف نفسه –سبحانه– بالرحمة وتسمى بالرحمن قبل أن يكون بنو آدم " [7].

---

(١) ينظر: القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين ٢١- ٢٥، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢١٧/٦. وبدائع الفوائد لابن القيم ١٦٦/١، ولوامع الأنوار للسفاريني ١٣٠/١.

(٢) شرح الهراس للعقيدة الواسطية (بتعليق ابن عثيمين) ص١٩٣.

(٣) سورة غافر ٧.

(٤) سورة الأحزاب ٤٣.

(٥) سورة الأعراف ١٥٦.

(٦) سورة الأنعام ٥٤.

(٧) من كلام ابن القيم في مختصر الصواعق ص٣٤٥.

ومنها: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ " فقد تضمنت إثبات اسميه الرحمن والرحيم، وإثبات صفة الرحمة " [1]. ففي هذه الآيات إثبات صفة الرحمة لله –سبحانه– وهي صفة حقيقية له –سبحانه– على ما يليق بجلاله [2].

" وقد كرر الله –تعالى– التمدح بالرحمة مراراً جمةً أكثر من خمسمائة مرة من كتابه الكريم، منها باسمه الرحمن أكثر من مائة وستين مرة، وباسمه الرحيم أكثر من مائتي مرة، وجمعها للتأكيد مائة وست عشر مرة " [3].

ومن السنة أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: "لما خلق الله الخلق، كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي"[4]. وحديث تحية أهل الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله [5]، وقوله ﷺ –فيما يرويه عن الله، تعالى–: " أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته،

(١) من كلام العلامة محمد خليل هراس في شرحه للواسطية ص١٣٩.
(٢) ينظر: شرح الهراس للواسطية ٧٩، وشرح الفوزان للواسطية ٤٣.
(٣) من كلام العلامة ابن الوزير في كتاب إيثار الحق على الخلق ص٣٣٠.
(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فأخرجه البخاري رقم ٣١٩٤، ٣١٩٤، ومسلم رقم ٢٧٥١.
(٥) ينظر: صحيح مسلم ٥٨١، ومسند أحمد ٤٠٩/١ و٤٣٨ و٣٩٠ و٤٤٤، وصحيح ابن حبان ١٩٩٣ و١٩٩٤، وسنن أبي داود ٩٩٦.

ومن قطعها قطعته [1]. قال الإمام ابن القيم: فهذا صريح في أن الرحمة مشتقة من اسمه الرحمن –تعالى– فدل على أن رحمته لما كانت هي الأصل في المعنى كانت هي الأصل في اللفظ [2].

ومنها قوله ﷺ –لما مرّ بامرأة أصيبت في السبي، وكانت كلما مرت بطفل أرضعته–: " أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قالوا: لا يا رسول الله وهي قادرة على أن لا تطرحه، فقال: " الله أرحم بعباده من هذه بولدها " [3]، فإذا كانت رحمة الوالدة حقيقية، فرحمة الله أولى بأن تكون حقيقة منها، وإن كانت رحمة الله مجازاً، فرحمة الوالدة لا حقيقة لها [4].

" وأجمع المسلمون على حسن إطلاق الرحمة على الله من غير قرينة تشعر بالتأويل، ولا توقف على عبارات التنزيل، وعرفت ذلك فطر العقول " [5].

والرحمة المضافة إلى الله –تعالى– نوعان:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٩٤/١، عن عبد الرحمن بن عوف، وأبو داود ١٦٩٥، والحاكم ١٥٧/٤ و١٥٨، والحديث صحيح لغيره ينظر الطبعة المحققة ٢١٣/٣، وينظر: السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني ٥٢٠.

(٢) مختصر الصواعق ص٣٤٤- ٣٤٥.

(٣) متفق عليه من حديث عمر، فأخرجه البخاري رقم ٥٩٩٩، ومسلم رقم ٢١٠٩.

(٤) مختصر الصواعق ص٣٥١.

(٥) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص٣٣٣.

الأول: مضاف إليه إضافة صفة إلى الموصوف بها، كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[1]. وهذه الرحمة صفة ذاتية لازمة لله -تعالى- بالنظر إلى أصلها، وهي صفة فعلية بالنظر إلى أفرادها وآحادها. لأن الله يرحم بها من يشاء من عباده، وكل صفة تتعلق بالمشيئة فهي صفة فعلية، وكلها صفات قائمة به -سبحانه- ليست قائمة بغيره، فيوصف بها -سبحانه- حقيقة كما يليق بجلاله.

والثاني: مضاف إليه إضافة مفعول إلى فاعله، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾[3]. وهذه الرحمة ليست صفة لله -تعالى- بل هي من أثر رحمته التي هي صفته الذاتية الفعلية[4].

---

(١) سورة الأنعام ١٣٣.

(٢) سورة الفرقان ٤٨.

(٣) سورة هود ٩.

(٤) ينظر: الروضة الندية، شرح الواسطية للفياض ٩٣، وشرح الغنيمان لكتاب التوحيد من البخاري ١٨٥/٢- ١٨٦، وشرح النونية لابن عيسى ٢١/١- ٢٢، ومختصر الصواعق ص٢٤٨- ٢٤٩.

وقد أنكر المبتدعة صفة الرحمة بدعوى أنها مستلزمة للنقص والتغير، وغيره من صفات الحدوث، وأنها في المخلوق ضعف وخور وتألم للمرحوم، وبعضهم أولها بالثواب، وإرادة الإنعام[1]. ويرد عليهم بالآتي:

١- يقال لمن رأى أن الرحمة من صفات الحدوث التي تستلزم التغير للمتصف بها؛ فيجب تنزيه الله عنها: إن اتصاف الله بالرحمة، والمخلوق يتصف بها، لا يستلزم نقصاً له، فلو قُدر أن الرحمة في حق المخلوقين مستلزمة للنقص كالضعف والخور، لم يجب أن تكون في حق الله مستلزمة لذلك، كما أن العلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام فينا يستلزم من النقص والحاجة ما يجب تنزيه الله عنه، فإذا كانت ذاتنا، وصفاتنا، وأفعالنا، وما اتصفنا به من الكمال من العلم والقدرة وغير ذلك، هو مقرون بالحاجة والحدوث، لم يجب أن تكون لله ذات، ولا صفات، ولا أفعال، ولا يقدر، ولا يعلم، لكون ذلك ملازماً للحاجة فينا. فكذلك الرحمة وغيرها، إذا قُدر أنها في حقنا ملازمة للحاجة والضعف، لم تجب أن تكون في حق الله ملازمة لذلك[2].

(١) ينظر في تأويل المخالفين: لوامع البينات للرازي ٣٦٣- ٣٦٤، والإرشاد للجويني ١٤٥ و١٥٢، وأصول الدين للبغدادي ١٢٤.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/١١٧- ١١٨، ومختصر الصواعق ٣٤٦.

٢- وأما قولهم: إنها في المخلوق ضعف وخور؛ فهذا من أقبح الجهل، فإن الرحمة إنما تكون من الأقوياء للضعفاء، فلا تستلزم ضعفاً، ولا خوراً، بل قد تكون مع غاية العزة والقدرة، فالإنسان القوي يرحم ولده الصغير وأبويه الكبيرين ومن هو أضعف منه، وأين الضعف والخور -وهما من أذم الصفات- من الرحمة التي وصف الله نفسه بها، وأثنى على أوليائه المتصفين بها، وأمرهم أن يتواصوا بها ؟![1].

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن الرحمة في حق المخلوقين لا تستلزم الضعف والخور، فالرحمة ممدوحة من المؤمنين، كما قال ﷻ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[2]، وقال ﷺ: "لا تنزع الرحمة إلا من شقي"[3]، ومحال أن يقول: لا ينزع الضعف والخور إلا من شقي. لكن لما كانت الرحمة تقارن في حق بعض الناس الضعف والخور، كما في رحمة النساء، ظن المخالف أنها كذلك مطلقاً[4].

---

(١) شرح الهراس للواسطية ص١٣٩- ١٤٠.
(٢) سورة البلد ١٧ .
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣٠١/٢، والترمذي ١٩٢٤، وابن حبان ٤٦٢، والبيهقي ١٦١/٨، بإسناد حسن عن أبي هريرة.
(٤) مجموع الفتاوى ١١٧/٦.

٣- ويقال لمن أول الرحمة بمعنى الثواب: إن الله - سبحانه- فرّق بين رحمته وبين ثوابه المنفصل، فقال: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ [(١)]، فالرحمة والرضوان صفته، والجنة ثوابه، وهذا يبطل قول من جعل الرحمة: إرادة الإحسان، فإن إرادته الإحسان هي من لوازم الرحمة، فإنه يلزم من الرحمة أو يريد الإحسان إلى المرحوم، فإذا انتفت حقيقة الرحمة؛ انتفى لازمها وهو إرادة الإحسان [(٢)].

المطلب الثاني: صفة اليد لله -سبحانه- .

هي صفة ذاتية خبرية لله ﷻ، تثبت لله -تعالى- من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل. وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن القرآن قوله -تعالى-: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [(٣)]، وقوله: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن

(١) سورة التوبة ٢١.

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/١٢١، والروضة الندية ٩٢.

(٣) سورة المائدة ٦٤.

تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ [1]، فقد " تضمنت هاتان الآيتان إثبات اليدين صفة حقيقية له –سبحانه– على ما يليق به " [2].

ومن السنة قوله ﷺ: " إن الله –تعالى– يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس عن مغربها " [3]. وقوله ﷺ –في حديث الشفاعة– وفيه: ".. فيأتونه فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر خلقك الله بيده،..." [4]، وقوله ﷺ: " إن الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك.." [5]، وغيرها من النصوص.

قال ابن القيم: ورد لفظ اليد في القرآن، والسنة، وكلام الصحابة، والتابعين، في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه، مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك، والطي، والقبض، والبسط [6].

---

(١) سورة ص ٧٥.

(٢) من كلام العلامة الهراس في شرح الواسطية ص١٤٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٦٠ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فأخرجه البخاري رقم ٣٣٤٠ و٤٧١٢، ومسلم رقم ١٩٤.

(٥) متفق عليه من حديث أبي سعيد، فأخرجه البخاري رقم ٧٥١٨، ومسلم رقم ٢٨٢٩.

(٦) مختصر الصواعق ٣٨٤.

وأجمع السلف على إثبات هذه الصفة لله ﷻ . كما يليق بجلاله، من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تكييف [1].

والمبتدعة[2] يرون أن الله لا يوصف بأن له يدين حقيقة، بل ما ورد من النصوص في ذلك، إنما هو كناية ومجاز عن القوة، والقدرة، والنعمة، والبركة، ونحو ذلك .

ويمكن الرد على هذه التأويلات الفاسدة بالآتي :

١- لا يجوز أن يُقال في لغة العرب، ولا في عادة أهل الخطاب: عملت كذا بيدي، ويعني به النعمة، "وإذا كان الله ﷻ إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهوماً في كلامها، ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أن يقول القائل: فعلت بيدي ويعني النعمة، بطل أن يكون معنى قوله ﷻ :﴿ بِيَدَيَّ ﴾: النعمة. ومن يرى أن اليد بمعنى

---

(١) حكى الإجماع العلامة محمد الأمين الشنقيطي في كتابه: صفات الله ﷻ في ضوء القرآن، والرد على المخالفين ص٧٨، وابن عثيمين في شرح لمعة الاعتقاد ٢٧. وينظر: اعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي ٥١، والحجة للأصبهاني ١/١٨٥، ومجموع الفتاوى ٦/٢٦٣، وشرح أصول الاعتقاد ٣/٤١٢.

(٢) ينظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار ٢٢٨- ٢٢٩، والكشاف للزمخشري ١/٦٢٧- ٦٢٨ و٣/٤٠٨- ٤٠٩، وأساس التقديس للرازي ١٢٥، وتحفة المريد للبيجوري ١٥٨، وغاية المرام للآمدي ١٣٩، وأصول الدين ٧٥ و١١٠.

النعمة، يحتج باللغة، فإذا دُفع ذلك لزمه أن يرجع في تفسير قوله ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ إلى الإجماع. وليس المسلمون مجمعين على ما ادعاه "[1].

٢- يقال للمؤولة: " هل بلغك أن في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ أو عن أحد من أئمة المسلمين أنهم قالوا: المراد باليد خلاف ظاهره، أو الظاهر غير مراد ؟ أو هل في كتاب الله آية تدل على انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهره، بل أو دلالة خفية؟ وهل في العقل ما يدل دلالة ظاهرة على أن الباري لا يد له ألبتة، ولو بوجه خفي؟ وهل يجوز أن يُملأ الكتاب والسنة من ذكر اليد، وأن الله خلق خلقه بيده، وأن يداه مبسوطتان، وأن الملك بيده، وفي الحديث ما لا يحصى، ثم إن رسول الله ﷺ وأولي الأمر لا يبينون للناس أن هذا الكلام لا يُراد به حقيقته ولا ظاهره، حتى ينشأ جهم بن صفوان بعد انقراض عصر الصحابة، فيبين للناس ما نزل إليهم على نبيهم "!![2].

٣- ليس من المقبول أن يطلق الله على نفسه معنى النعمة بالتثنية، فهل يجوز أن يقال: لله نعمتان فقط؟ والله –تعالى–

---

(١) من الإبانة، للأشعري ٤١- ٤٢. وينظر: مجموع الفتاوى ٣٦٦/٦، النقض للدارمي ٦٨.

(٢)من مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٧/٦- ٣٦٨.

يقول: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[1]. وهي مجموعة في قوله -تعالى-: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[2][3].

قال الإمام أحمد: من زعم أن يداه: نعمتاه، كيف يصنع بقوله: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ مشددة ؟[4]، وقال البغوي في قوله: ﴿ بِيَدَىَّ ﴾: في تحقيق الله التثنية في اليد دليل على أنها ليست بمعنى القدرة، والقوة، والنعمة، وأنهما صفتان من صفات ذاته[5].

٤- إذا كان الله -سبحانه وتعالى- خلق آدم بنعمته، فالنعمة إذن مخلوقة، فهل يصح لمخلوق أن يخلق مخلوقاً ؟!

كما أن الله وصف يديه باليمين، أما النعم فلم يجر لها ذكر، ولم يُعهد أن النعم توصف باليمين أو بضدها[6].

---

(١) سورة النحل ١٨.

(٢) سورة لقمان ٢٠.

(٣) ينظر: الاعتقاد للبيهقي ٢٩، ومجموع الفتاوى ٦/٣٦٥، والتوحيد لابن خزيمة ١/١٩٧.

(٤) ينظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى ١/١٦٩.

(٥) نقله مرعي الكرمي في أقاويل الثقات ١٥١، والسفاريني في اللوامع ١/٣١٠.

(٦) إبطال التأويلات ١/١٧٣.

المبحث الثالث: **موقف الإسلام من الدنيا** .

ينظر الإسلام إلى الدنيا نظرة معتدلة، ذات توسط بين طائفتين :

الأولى: من غلوا في الماديات وأغرقوا في المحسوسات، وغالوا في الشهوات، واعتبروا الحياة الدنيا هي الغاية والنهاية. فأغرقوا في الشهوات، وعبدوا أنفسهم للماديات، ولم يعرفوا لهم هدفاً سامياً يسعون إليه، غير منافع الدنيا العاجلة، ولذائذها الفانية.

وهذا المنهج سقطت فيه الكثير من المذاهب، وتبعه ملايين البشر، الذين ارتموا في أحضان النفعية الغربية المادية التي تعيث في الأرض فساداً [1].

الثانية: من أغرقوا في العبادة والرهبنة، وقسوا على النفس الإنسانية، وحرموا الطيبات، والتمتع بالشهوات، والملاذ، وما فُطرت عليه من الزواج، والمال، وأطايب الملابس والمآكل. وهؤلاء يمثلهم رهبان النصارى، وغلاة الصوفية، حيث ابتدع النصارى رهبانية قاسية على النفس، تحرم الزواج، وتكبت الغرائز، وترفض كل أشكال الزينة، وطيبات الرزق، وتراها رجساً من عمل الشيطان، وأصبح هذا النزوع مذهباً رائجاً [2].

---

(١) الوسطية في ضوء القرآن الكريم. د/ ناصر العمر ص٢٤٨- ٢٤٩.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي ص١٨٦ ، والوسطية في ضوء القرآن ٢٤٨.

فهؤلاء رأوا الجسد سجناً للروح، يحول بينها وبين أشواقها العالية، وشفافيتها السامية، فاخترعوا الرياضيات الروحية الشاقة التي تقوم على إرهاق الجسد وتعذيبه، وتحوّله إلى شبح هزيل، يسكن المغاور، والمقابر، والكهوف، وينفر من كل الصلات الإنسانية (١).

ويمثل بعض الصوفية السمة الظاهرة لهذا المنهج، يقول الغزالي: لا وصول إلى الله -سبحانه وتعالى- إلا بالتنزه عن الشهوات، والكف عن اللذات (٢). واشترط -رحمه الله- لبلوغ السعادة الأخروية أن يقطع المسلم علائقه من الدنيا بالكلية (٣).

ويستند الصوفية إلى النصوص التي تهوّن من شأن الدنيا إذا ما قورنت بالآخرة.

وعلى هذا النهج سار الصوفية، فكانوا يرون أن الدنيا كلها شر، قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: كان يُقال: جُعل الشر كله في بيت، وجُعل مفتاحه الرغبة في الدنيا، وجُعل الخير كله في بيت، وجُعل مفتاحه الزهد في الدنيا (٤).

---

(١) المسلمون بين التشديد والتيسير لسلمان العودة ص١٣، والوسطية للعمر ص٢٤٨.

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٢٦٦.

(٣) ميزان العمل ص٢٢٢.

(٤) طبقات الصوفية للسلمي ص٢٣.

وهكذا صاغ الصوفية موقفهم من الدنيا بصورة تقوم على التناقض التام بين الدنيا والآخرة، بحيث يستحيل على المؤمن في نظرهم الجمع بينهما [1].

وجاء الإسلام ببيان أن الإنسان يميل بطبعه وحاجته إلى تلبية فطرته وغريزته، وتحقيق بعض رغباته، دون حجر أو كبت. لكنه لم يترك له الحبل على غاربه، بل وضع الضوابط والحدود، وبيّن أن له مهمة سامية يسعى إليها أشرف من الدنيا وما فيها.

قال -تعالى-: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [2]. " فصياغة الفعل في قوله: ﴿ زُيِّنَ ﴾ للمجهول يشير إلى أن تركيبهم الفطري، قد تضمن هذا الميل، فهو محبب ومزين، وهذا تقرير للواقع من أحد جانبيه، ففي الإنسان هذا الميل إلى هذه الشهوات، وهو جزء من تكوينه الأصيل، لا حاجة إلى إنكاره، ولا إلى استنكاره في ذاته، فهو ضروري للحياة البشرية، كي تتأصل وتنمو وتطرد " [3].

(١) موقف الإسلام من الدنيا د/ أحمد إبراهيم ص٤٣.
(٢) سورة آل عمران ١٤.
(٣) من كلام سيد قطب -رحمه الله- في الظلال ١/٣٧٣.

كما رد الإسلام على من حرم الطيبات، قال -تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[2].

وكما رد الإسلام على هؤلاء، فقد رد على الطرف المقابل، وهم من تركوا العنان لأنفسهم تعبث كيفما تشاء، وترتع كالأنعام فيما اشتهت وهوت، دون حسيب أو رقيب أو ضابط. قال -تعالى-: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[3]،

وقال: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[4]،

---

(١) سورة الأعراف ٣٢.

(٢) سورة البقرة ١٧٢.

(٣) سورة مريم ٥٩.

(٤) سورة النساء ٢٧.

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ [1]، وقال: ﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ [2].

قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله –تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ [3] : أي في دنياهم يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الأنعام خضماً وقضماً، وليس لهم همة إلا ذلك، ولذلك ثبت في الصحيح: " المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء " [4]،[5].

وقال القرطبي –في تفسير قوله تعالى-: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ

---

(1) سورة محمد ١٢.
(2) سورة الحجر ٣.
(3) سورة محمد ١٢.
(4) صحيح البخاري ٥٠٧٨، وصحيح مسلم ٢٠٦٠ و٢٠٦١ عن ابن عمر.
(5) تفسير ابن كثير ١٢١٩/٢.

يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾[1] : الشهوات عبارة عما يوافق الإنسان، ويشتهيه، ويلائمه، ولا يتقيه، وفي الصحيح: " حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات "[2]،[3].

فيتضح من ذلك أن تحريم الطيبات، وما أحل الله لعباده، غلو وإفراط، ومثل ذلك في الذم: اتباع الشهوات، وعدم منع النفس ما تشتهي حلالاً كان أو حراماً، فهذا تفريط، والطريق العدل، والمنهج الوسط ما بين ذلك.

قال -تعالى-: ﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[4]، فهذه من أوضح الآيات دلالة على المراد، حيث حددت معالم هذا المنهج، فلباس الزينة مشروع، ومثل ذلك الأكل، والشرب، مما أباح الله، ولو كان منه زيادة على الحاجة والضرورة، ولكن المنهي عنه أن يكون هناك إسراف وتبذير، سواء كان الإسراف في النوع، أو الكم، أو العادة[5].

---

(١) سورة مريم ٥٩.
(٢) صحيح مسلم رقم ٢٨٢٢ ، وبلفظ: "حجبت" عند البخاري ٦١٢٢ عن أبي هريرة .
(٣) تفسير القرطبي ٤٧٦/١٣.
(٤) سورة الأعراف ٣١.
(٥) الوسطية في ضوء القرآن ص٢٥٤.

كما يقرر الإسلام إنه على المسلم أن يستعمل الدنيا بالصالح من الأعمال فيما يفيده بالآخرة، وفي ذلك جمع بين الدنيا والآخرة. قال -تعالى-: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [1]، أي اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة، وهي الجنة، فإن من حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة، لا في التجبر والبغي.

وقال بعض المفسرين: لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال، وطلبك إياه، ونظرك لعاقبة دنياك. وقال بعضهم في كلام جامع جيد: احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا [2]. فهذه الآية تأمرنا باتخاذ الدنيا وسيلة إلى الآخرة، ولا تنفي التقابل بينهما. ومن ذلك أيضاً قوله -تعالى-: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [3]، وقوله: ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ

---

(١) سورة القصص ٧٧.

(٢) ينظر: تفسير البغوي ٣/٤٥٤، وتفسير القرطبي ١٦/٣١٩- ٣٢٠.

(٣) سورة آل عمران ١٤٨.

بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢ ﴾[2].

قال أهل التفسير: والذي عليه أكثر أهل العلم أن المراد بالحسنتين، نعم الدنيا والآخرة[3]، ويقولون: هذه الآية من جوامع الدعاء التي عمت الدنيا والآخرة.

قيل لأنس: ادع الله لنا، فقال: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. قالوا: زدنا. قال: ما تريدون؟ قد سألت الدنيا والآخرة[4].

---

(١) سورة الأعراف ١٥٦.

(٢) سورة البقرة ٢٠٠- ٢٠٢.

(٣) تفسير القرطبي ٣/٣٥٧، وتفسير ابن عطية ١/٢٧٦، والنكت والعيون للماوردي ١/٢٦٣.

(٤) صحيح ابن حبان ٩٣٨، والأدب المفرد للبخاري ٦٣٣، وتفسير القرطبي ٣/٣٥٨.

وفي الصحيحين[1] عن أنس ﷺ قال: كان أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ يقول: " اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ".

فيتضح من ذلك أن الدنيا وسيلة إلى الآخرة، ولا تناقض بينهما، فالدنيا في الإسلام ليست دار قعود، وخمول، وكسل، ولكنها دار صدق لمن صدقها، ودار عاقبة لمن فهمها، ودار غنى لمن تزوّد منها، مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه، ومصلى ملائكته، ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة[2].

(١) صحيح البخاري ٤٥٢٢، وصحيح مسلم ٢٦٩٠.
(٢) موقف الإسلام من الدنيا د/ أحمد إبراهيم ص٤٦.

المبحث الرابع: **دخول الأعمال في مسمى الإيمان والإسلام** .

لاشك في دخول الأعمال في مسمى الإسلام، فقد وردت النصوص الشرعية من القرآن والسنة على أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، ومنها قوله –تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [1]،

وقوله –تعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [2]، وقوله ﷺ في حديث جبريل حيث فسر الإسلام بالعبادة، وعدم الشرك، وإقامة الصلاة، والزكاة، والصوم [3].

قال البغوي –رحمه الله-: جعل النبي ﷺ في هذا الحديث الإسلام اسماً لما يظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسماً لما بطن من

---

(١) سورة الأنعام ١٦١- ١٦٣.

(٢) سورة فصلت ٣٣.

(٣) بهذا اللفظ في البخاري رقم ٥٠ عن أبي هريرة. وتفسيره للأركان الخمسة عند مسلم في صحيحه رقم ٨ عن عمر رضي الله عنه.

الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين، ولذلك قال: " ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم "[1].

والمسألة لها تعلق بوجه العلاقة بين الإيمان والإسلام، حيث إنه وردت نصوص تفرق بينهما، مثل قوله -تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، حيث فرقت الآية الكريمة بين الإسلام والإيمان، فأثبتت لهم الإسلام، ونفت عنهم الإيمان، فدلّ ذلك على تغايرهما. ومثل حديث جبريل المتقدم، حيث فسر النبي ﷺ الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال القلبية.

ومنها حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفيه قسمة الغنائم وقول سعد: أعطيت فلاناً وفلاناً، ولم تعطِ فلاناً وهو مؤمن ! فقال النبي ﷺ" أو مسلم "[3]. وقوله ﷺ: "اللهم لك أسلمت

---

(1) شرح السنة ١/١٠، ونقله الحافظ ابن حجر في الفتح ١/١١٥.

(2) سورة الحجرات ١٤.

(3) صحيح البخاري رقم ٢٧ و١٤٧٨.

وبك آمنت" [1] قال العلامة النووي: فيه إشارة إلى الفرق بين الإسلام والإيمان [2].

وهناك بعض النصوص الأخرى المتعلقة بهذه المسألة، وهي تفيد إطلاق الأعمال الظاهرة على معنى الإيمان، والأعمال الباطنة على معنى الإسلام، ومنها قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [3]،

وقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، فأخرجه البخاري رقم ٦٣١٧ و١١٢٠، ومسلم ١٩٩.

(٢) شرح مسلم ٩/٥٠.

(٣) سورة الحجرات ١٥.

وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (١)، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ (٢)، وقوله: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (٣)، وقوله ﷺ: " الإيمان بضع وسبعون أو ستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان " (٤). وقوله ﷺ -

---

(١) سورة المائدة ٥.

(٢) سورة آل عمران ١٩.

(٣) سورة المائدة ٣.

(٤) صحيح مسلم رقم ٢٣٥، وصحيح البخاري ٩ عن أبي هريرة.

حينما سأله رجل ما الإسلام؟-: " أن يسلم قلبك لله عز وجل وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك "، فقال: فأي الإسلام أفضل ؟ قال: الإيمان.." [1].

فقد جعل النبي ﷺ الأعمال القلبية إسلاماً، وكذا الأعمال الظاهرة، وبيّن أن الإيمان أفضل الإسلام.

وعلماء السلف لهم أقوال في هذه المسألة، وصنفوا فيها تصانيف متعددة، فمنهم من ذهب إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، أي هما مترادفان، يُراد بأحدهما ما يُراد بالآخر [2]. ومنهم من فرّق وبيّن أن الإسلام غير الإيمان [3]، والراجح في هذه المسألة ما قرره أكثر أهل

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١١٤/٤ عن عمرو بن عبسة، وعبد الرزاق في مصنفه ٢٠١٠٧ وغيرهم، والحديث صحيح رجال إسناده ثقات.

(٢) ومنهم البخاري في الصحيح (الفتح ٦٠/١ و١٤٠)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٤٠٢/١ و٥٠٦/٢، وابن منده في الإيمان ٣٢١/١، وابن حزم في المحلى ٣٨/١، وابن عبد البر في التمهيد ٢٤٩/٩ و٢٥٠.

(٣) وهو قول بعض الصحابة والتابعين كابن عباس والحسن وابن سيرين. ينظر: الإيمان لابن منده ٣٢٢/١، وقد نقل الحافظ ابن رجب التفريق بينهما عن قتادة، والزهري، وأبو جعفر الباقر، وحماد بن زيد، وابن مهدي، وأحمد بن حنبل، وابن معين، وغيرهم. جامع العلوم والحكم ٢٦/١.

العلم[1]، من أن الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما شمل الدين كله، أصوله وفروعه، من اعتقاداته، وأفعاله الظاهرة والباطنة، وإذا قرن بينهما وذكرا معاً، فعند ذلك يفترقان في المعنى، فيُراد بالإسلام الأعمال الظاهرة، وبالإيمان الاعتقادات الباطنة. وهذا القول هو الذي تجتمع عليه النصوص الواردة في هذه المسألة، وبه يزول الاختلاف[2].

وما أحسن ما شبّه شيخ الإسلام ابن تيمية الإيمان والإسلام بالروح والبدن، إذ قال: فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح، وليس أحدهما الآخر، فالإيمان كالروح، فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن، والإسلام كالبدن، ولا يكون البدن حياً إلا مع الروح، بمعنى أنهما متلازمان، لا أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر[3].

ولاشك أن ما يحصل على الإيمان من أحكام يحصل على الإسلام، مثل دخول الأعمال في مسماه، وزيادته، ونقصانه[4]،

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٥٩/٧، وكتاب الإيمان لابن تيمية ص١٥ و١٤٨، وشرح الطحاوية ص٤٨٨- ٤٩٣، والفتح ١٤١/١، وجامع العلوم والحكم ٢٦/١.

(٢) منهج الشوكاني في العقيدة د/ عبد الله نوسوك ص٦١٨.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٦٧/٧.

(٤) عدا مسألة الاستثناء في الإيمان، فلا يشرع للعبد أن يستثني على إسلامه، وكان هذا مذهب المرازقة أتباع عثمان بن مرزوق

قال ابن تيمية: وأما ما ذكر من أن الإسلام ينقص كما ينقص الإيمان، فهذا حق، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة. فإن من نقص من الصلاة، والزكاة، أو الصوم، أو الحج شيئاً؛ فقد نقص من إسلامه بحسب ذلك، ومن قال: إن الإسلام هو الكلمة فقط وأراد بذلك أنه لا يزيد ولا ينقص، فقوله خطأ[1].

ودخول الأعمال في مسمى الإيمان مما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع، فمن القرآن قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2]، وقوله -تعالى-: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

ت٥٦٤هـ. ولم يكن -رحمه الله- على قولهم، وكانوا يستثنون في كل شيء، فلو قيل لأحدهم: أنت مسلم لقال: إن شاء الله. ولا شك أن هذا غلو. ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ١٩٨/١٠، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٤٣٣/٧ و٤٣٦، وشرح الطحاوية ٤٩٥.

(١) مجموع الفتاوى ٤١٤/٧.

(٢) سورة الحج ٧٧.

وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [1]، وقوله -تعالى-: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2]. ومن السنة أحاديث كثيرة منها حديث الشعب المتقدم، وقوله ﷺ : أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً " [3]، وقوله ﷺ : " البذاذة من الإيمان " [4]. وأجمع السلف على أن الإيمان اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح [5].

---

(١) سورة البقرة ١٧٧.

(٢) سورة التوبة ١١٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٥٠ و٤٧٢ و٥٢٧، وأبو داود ٢٦٨٢، والترمذي ١١٦٢، وغيرهم، عن أبي هريرة، والإسناد حسن.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٤١١٨، وأبو داود ٤١٦١ عن أبي أمامة الحارثي، قال الحافظ في الفتح ١٠/ ٣٦٨: حديث صحيح. والبذاذة: التواضع في اللباس.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ٧/ ٥٠٥ و٣١٧، والشريعة للآجري ١١٩- ١٢٠، وشرح أصول الاعتقاد ٤/ ٨٣٠، وشرح الطحاوية ٤٥٩ و٤٧٤، وشرح السنة ١/ ١٠ و٣٩ و٤١، وأصول السنة لابن أبي زمنين ٢٠٧، ولوامع الأنوار البهية ١/ ٤٠٥، والحجة في بيان المحجة ١/ ٤٠٥.

الخاتمــة

أبــرز نتائج البحـث

١- اشتمل كلام المصطفى ﷺ مع إيجازه على كثير من مسائل العقيدة.

٢- أهمية لفت نظر الباحثين، والمتخصصين، إلى ضرورة العناية بالسنة النبوية، واستخراج مسائل العقيدة منها، ودراستها على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

٣- اعتنى العلماء والأئمة بحديث: " نضر الله امرءا سمع مقالتي..."، فأكدوا على صحته وتواتره، وجمعوا طرقه، واستنبطوا منه كثيراً من المسائل الشرعية، وبعضهم أفرده بمؤلفات خاصة. وكثيراً ما يستدل به أئمة السلف على مسائل عقدية كثيرة.

٤- روى هذا الحديث العظيم عن النبي ﷺ قرابة (٢٥) صحابياً.

٥- اشتمل هذا الحديث العظيم على كثير من مسائل العقيدة الآتي ذكرها.

٦- من الأعمال القلبية: الإخلاص، وهو من أشرف الأعمال، وأهم الشروط في قبول الأعمال، وله فوائد، وفضائل، وثمرات عظيمة.

٧- يقترن الصدق بالإخلاص كثيراً، وبينهما تلازم، ولكن هناك فرق بينهما.

٨- النصيحة كلمة جامعة، معناها حيازة الحظ للمنصوح له.

٩- لمناصحة ولي الأمر ضوابط أكد عليها العلماء، مثل استعمال الرفق واللين فيها، والنصح في السر، والعلم بالمعروف والمنكر، والإخلاص لله ﷻ فيها.

١٠-أكد الإسلام على وجوب طاعة ولي الأمر في المعروف، وهذه الطاعة لها آثار عظيمة على الفرد والمجتمع.

١١-دلت الأدلة على وجوب لزوم الجماعة من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والأئمة.

١٢-اختلف العلماء في المراد بالجماعة على عدة أقوال، والراجح أن الجماعة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

١٣-خبر الآحاد حجة إن ثبت من رسول الله ﷺ، ويفيد العلم إن احتفت به قرائن، وليس هناك فرق في حجية خبر الآحاد بين الأحكام والعقائد، فهو حجة لكليهما.

١٤-صفة الرحمة لله ﷻ من الصفات الذاتية الفعلية، وهي ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة والإجماع، وقد أنكر المبتدعة هذه الصفة، وبعضهم أوّلها بالثواب، وإرادة الإنعام.

١٥-صفة اليد لله ﷻ صفة ذاتية خبرية ثابتة بالكتاب، والسنة، والإجماع، وقد أنكرها المبتدعة، وبعضهم يؤولها بالقوة، والقدرة، والنعمة، والبركة.

١٦-توسط أهل السنة تبعاً لتوسط الإسلام في مباحث عديدة، ومنها: النظرة إلى الدنيا، بين من أغرق في إشباع شهواته فيها، وبين من غلا في الرهبنة، وقسى على النفس الإنسانية.

١٧-دلت النصوص الشرعية على دخول الأعمال في مسمى الإيمان والإسلام.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة، حققه ودرس مسائله مجموعة محققين، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٢- إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة على نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة، لعبد العزيز الغماري، مطبعة دار التأليف، القاهرة، د.ت.

٣- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٤- الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي، تحقيق د. عبد الملك بن دهيش، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٥- الأحكام، لابن حزم، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.

٦- الأحكام في أصول الأحكام، للآمدي، تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وتحقيق عبد الله الفريان، وعلي الصالحي، مؤسسة النور للطباعة، ط١، ١٣٨٧هـ.

٧- أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٨- أحكام القرآن، للجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٣٥هـ.

٩- إحياء علوم الدين، للغزالي، شركة ومطبعة الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م. ط أخرى دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٠- أخبار أصفهان، لأبي نعيم، نشره عبد الوهاب الخلجي، الدار العلمية، الهند، توزيع مكتبة حراء، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١١- الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، تحقيق إياد الطباع، دار البشائر، دمشق، ط١، د.ت، مطبوعات مركز جمعة الماجد بدبي.
١٢- الآداب الشرعية، لابن مفلح، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
١٣- الأدلة الشرعية في بيان حقوق الراعي والرعية، للشيخ ابن سبيل، دار السلف، الرياض، د.ت.
١٤- الإرشاد، للجويني، تحقيق د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م، ومكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى، بغداد.
١٥- أساس التقديس، للرازي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م، ط أخرى بتحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
١٦- الاستذكار، لابن عبد البر، تحقيق سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٧- الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
١٨- الإصابة في تمييز أسماء الصحابة، لابن حجر، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، مطبعة مصطفى محمد، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م.
١٩- أصول الدين، للبغدادي، مطبعة الدولة الأولى، استنبول، ١٣٤٦هـ- ١٩٢٨م.
٢٠- أصول السرخسي، تحقيق أبو الوفاء الأفغاني، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٢١- أصول مذهب الإمام أحمد، للدكتور عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٢٢- أصول السنة، لابن أبي زمنين، تحقيق عبد الله محمد البخاري، نشر مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٣- الاعتصام، للشاطبي، تحقيق سليم الهلالي، دار ابن عفان للنشر، الخبر، ط٤، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
٢٤- الاعتقاد، للبيهقي، تصحيح أحمد محمد مرسي، ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م، ط أخرى بعناية أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
٢٥- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي، ومعها المرشد الأمين لطه عبد الرؤوف، ومصطفى الهواري. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ.
٢٦- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤م.
٢٧- أعلام السنة المنشورة، للشيخ حافظ الحكمي، تحقيق أحمد علي مدخلي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٢٨- أعلام الموقعين، لابن القيم، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٧٤هـ- ١٩٩٥م. ط أخرى دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
٢٩- أعمال القلوب عند أهل السنة وعند مخالفيهم، د. سهل العتيبي، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، سلسلة مشروع وزارة التعليم العالي لنشر ألف رسالة علمية (٥٦) عام ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٣٠- اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل، شركة العبيكان للطباعة، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.
٣١- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٢- الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، لعبد السلام بن برجس العبد الكريم، ط٢، ١٤١٩هـ. وليس على الكتاب بيان الجهة الطابعة.
٣٣- إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر، طبع بمراقبة محمد عبد المعين خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط١، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.
٣٤- إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير، تحقيق أحمد مصطفى صالح، الدار اليمنية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
٣٥- الإيمان، لابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٣٦- الإيمان، لابن منده، تحقيق د. علي محمد فقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.
٣٧- الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة، تحقيق بشير عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، ومكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
٣٨- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٣٩- بدائع الفوائد، لابن القيم، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، مصور عنها بدار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
٤٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
٤١- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، للسكسكي، تحقيق خليل أحمد الحاج، دار التراث العربي، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
٤٢- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د.ت.
٤٣- تاريخ ابن عساكر (تاريخ مدينة دمشق) تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٤٤- التاريخ الكبير، للبخاري، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٦١هـ.
٤٥- تاريخ نجد، لابن غنام، تحقيق ناصر الدين الأسد، وقابله على أصله الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ- ١٩٦١م.
٤٦- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، للمباركفوري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
٤٧- تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، لابن كثير، تحقيق عبد الغني الكبيسي، دار حراء، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ.
٤٨- التحفة العراقية في الأعمال القلبية، لابن تيمية، تحقيق سليمان الحرش، دار الهدى، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.
٤٩- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، للباجوري، تحقيق لجنة تحقيق التراث، بالمكتبة الأزهرية للتراث، بيروت، د.ت.
٥٠- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، للسيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٢، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٩م.
٥١- تذكرة الحفاظ، للذهبي، وضع حواشيه زكريا عميرات، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٥٢- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ومكتبة الفكر، طرابلس، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.
٥٣- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للمنذري، تحقيق مجموعة محققين، دار ابن كثير والكلم الطيب بدمشق، ومؤسسة علوم القرآن بعجمان، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٥٤- تعظيم قدر الصلاة، للمروزي، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٥٥- تفسير البغوي (معالم التنزيل) تحقيق مجموعة محققين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
٥٦- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.
٥٧- تفسير ابن الجوزي (زاد المسير) تقديم زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٥٨- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق د. أحمد الزهراني و د. حكمت ياسين، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ودار طيبة بالرياض، ودار ابن القيم بالدمام، ط١، ١٤٠٨هـ.
٥٩- تفسير الرازي (الكبير) المطبعة البهية المصرية، مصر، ط١، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.
٦٠- تفسير ابن سعدي (تيسير الكريم الرحمن) تحقيق محمد زهري النجار، مؤسسة الرسالة، ودار المؤيد، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٦١- تفسير السيوطي (الدر المنثور) تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٦٢- تفسير الشوكاني (فتح القدير) تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ودار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
٦٣- تفسير الظلال (في ظلال القرآن) سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.
٦٤- تفسير الطبري (جامع البيان) تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٦٥- تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٦٦- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) تحقيق مجموعة محققين، مؤسسة دار العلوم، قطر، ط١، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٧م.

٦٧- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) تحقيق د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٦٨- تفسير ابن كثير، تحقيق مجموعة محققين، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٦٩- تفسير الكلبي الغرناطي (التسهيل) تحقيق محمد اليونسي، وإبراهيم عوض، مطبعة حسان، القاهرة، ودار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

٧٠- تفسير أبي الليث السمرقندي، تحقيق مجموعة محققين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٧١- تفسير الماوردي (النكت والعيون) تحقيق خضر محمد خضر، ومراجعة عبد الستار أبو غدة، مطابع مقهوي، الكويت، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالكويت، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٧٢- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، د.ت.

٧٣- تقريب التهذيب، لابن حجر، عناية محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ودار القلم، ط٣، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٧٤- التمهيد، لابن عبد البر، تحقيق محمد الفلاح، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م. ط أخرى تحقيق أسامة إبراهيم، نشر الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٧٥- تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، لابن النحاس، مطابع الرياض، د.ت.
٧٦- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي، تعليق محمد زاهر الكوثري، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٨٨هـ.
٧٧- تهذيب التهذيب، لابن حجر، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٢٥هـ.
٧٨- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، ومراجعة محمد النجار، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، مصر، ١٩٧٥م.
٧٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني، ومطبعة الملاح، ومكتبة دار البيان، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
٨٠- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، تصحيح عبد الرحمن عثمان، مطبعة العاصمة، القاهرة، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
٨١- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للعلائي، تحقيق حمدي السلفي، دار عالم الكتب ومكتبة النهضة، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
٨٢- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٨٣- الجرح والتعديل، للرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.
٨٤- جزء أبي عمرو المديني (فيه أحاديث في حجة الوداع) مخطوط من الظاهرية بدمشق، مجموع ٧ (ق٩١-٩٨).
٨٥- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ.

٨٦- الحجة في بيان المحجة، وشرح عقيدة أهل السنة، للأصبهاني، تحقيق محمد ربيع المدخلي، ومحمد أبو رحيم، دار الراية للنشر، الرياض، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
٨٧- ابن حجر العسقلاني، مصنفاته ودراسة في منهجه، لشاكر عبد المنعم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٨٨- حديث: "احفظ الله يحفظك" دراسة عقدية، د. محمد العلي، بحث مكتوب على الكمبيوتر، ومحمل من الأنترنت.
٨٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٩٠- الحكمة في الدعوة إلى الله، لسعيد علي القحطاني، مؤسسة الجريسي، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ.
٩١- حلية الأولياء، لأبي نعيم، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.
٩٢- خبر الواحد وحجيته، د. أحمد الشنقيطي، طبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ.
٩٣- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
٩٤- الخلاصة في أصول الحديث، للطيبي، تحقيق صبحي السامرائي، ديوان الأوقاف، بغداد، ط١، ١٣٩١م.
٩٥- دراسة حديث: "نضر الله امرءا سمع مقالتي.." رواية ودراية، للشيخ عبد المحسن العباد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠١هـ.
٩٦- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لابن قاسم، مطابع المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٩٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٢، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م.

٩٨- دلائل النبوه، للبيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٩٩- الرسالة، للشافعي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٨هـ- ١٩٤٠م.

١٠٠- الرسالة في علم التصوف، للقشيري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

١٠١- روضة الناظر، لابن قدامة، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.

١٠٢- رياض الصالحين، للنووي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار المأمون للتراث، دمشق، د.ت.

١٠٣- الزهد، للإمام أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٠٤- الزهد، لوكيع، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٠٥- سراج الملوك، للطرطوشي، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، مطبعة المدني، القاهرة، والدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٠٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٠٧- السنة، لابن أبي عاصم، تحقيق د. باسم الجوابرة، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م. ط أخرى بتخريج الشيخ الألباني -ظلال الجنة-، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٠٨- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
١٠٩- سنن الترمذي، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
١١٠- سنن الدارمي، تحقيق عبد الله هاشم المدني، نشر حديث أكادمي، باكستان، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، اهتم بطبعه حبيب الله نشاطي، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
١١١- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م.
١١٢- السنن الكبرى، للبيهقي، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٤٤هـ.
١١٣- السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
١١٤- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لابن تيمية، تقديم محمد المبارك، دار الكتب العربية، بيروت، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.
١١٥- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق مجموعة محققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
١١٦- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشوكاني، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
١١٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، تحقيق لجنة تحقيق التراث في دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
١١٨- شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد، دار القرآن الكريم، بيروت، والإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١١٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ.
١٢٠- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م.
١٢١- شرح البخاري للعيني (عمدة القاري) دار المنار، بيروت، د.ت.
١٢٢- شرح البخاري للكرماني (الكواكب الدراري) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.
١٢٣- شرح السنة، للبربهاري، تحقيق محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
١٢٤- شرح السنة، للبغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٠هـ.
١٢٥- شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي، محمل من الأنترنت.
١٢٦- شرح صحيح مسلم، للنووي، تحقيق مجموعة محققين، دار عالم الكتب للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٢٧- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق د. عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.
١٢٨- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح الفوزان، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
١٢٩- شرح العقيدة الواسطية للفياض، دار الوطن، الرياض، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٣٠- شرح العقيدة الواسطية للهراس، ضبط وتخريج علوي السقاف، دار الهجرة، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.
١٣١- شرح عين العلم وزين الحلم، لملا علي القاري، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

١٣٢- شرح الغنيمان لكتاب التوحيد، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٣٣- شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة، للشيخ ابن عثيمين، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
١٣٤- شرح مشكل الآثار، للطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
١٣٥- شرح نونية ابن القيم، لابن عيسى، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
١٣٦- شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد سعيد أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، د.ت.
١٣٧- شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
١٣٨- الشهب اللامعة، للمالقي، كتاب محمل من الأنترنت.
١٣٩- الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
١٤٠- صحيح البخاري. ينظر: فتح الباري لابن حجر.
١٤١- صحيح ابن حبان مع الإحسان لابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
١٤٢- صحيح ابن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
١٤٣- صحيح سنن أبي داود، للألباني، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، وفهرسة زهير الشاويش، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١٤٤- صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

١٤٥- صحيح سنن النسائي، للألباني، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، فهرسة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

١٤٦- صحيح مسلم، تحقيق أحمد عمر هاشم، وموسى لاشين، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٤٧- صفات الله ﷻ في ضوء القرآن والرد على المخالفين، للشيخ محمد الشنقيطي، عناية عبد الله الدغيثر، وتقديم الشيخ ابن جبرين، دار ابن حزم، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٤٨- صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، لابن حمدان، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

١٤٩- صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط، للشهرزوري، تحقيق موفق عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٥٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

١٥١- طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت، مصورة عن مطبعة السنة المحمدية، بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي.

١٥٢- طبقات السبكي (طبقات الشافعية الكبرى) تحقيق د. محمود الطناحي، و د. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٥٣- طبقات ابن سعد (الطبقات الكبرى) تقديم إحسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١٥٤- طبقات الصوفية، للسلمي، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، مصر، ط٣، ١٤٠٦هـ.
١٥٥- طبقات المفسرين، للسيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مطبعة الحضارة العربية، مصر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.
١٥٦- العبر في خبر من غبر، للذهبي، تحقيق فؤاد سيد، سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦١م.
١٥٧- العقد الفريد، لابن عبد ربه، ضبط وشرح أحمد أمين وأحمد الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٣٨١هـ.
١٥٨- عقيدة التوحيد، للشيخ صالح الفوزان، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١٥٩- علم التوحيد، د. عبد العزيز الربيعة، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، وليس على الكتاب بيان الجهة الطابعة.
١٦٠- علوم الحديث، لابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، المكتبة العلمية، ط١، ١٤٠١هـ.
١٦١- العين، للخليل بن أحمد، ترتيب مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، وتصحيح أسعد الطيب، انتشارات أسوة، قم، إيران، ط١، ١٤١٤هـ.
١٦٢- غاية المرام في علم الكلام، للآمدي، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، إشراف محمد توفيق عويضة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
١٦٣- فتاوى أركان الإسلام، للشيخ ابن عثيمين، جمع وترتيب فهد السليمان، دار الثريا للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

١٦٤- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع أحمد الدويش، دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ.
١٦٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، وتصحيح محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
١٦٦- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن، تحقيق وليد الفريان، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
١٦٧- فتح المغيث، للسخاوي، تحقيق علي حسين علي، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.
١٦٨- الفرق بين الفرق، للبغدادي، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
١٦٩- الفروسية، لابن القيم، مطبعة الأنوار، ١٣٦٠هـ- ١٩٤١م. القاهرة.
١٧٠- فقه الدعوة في صحيح البخاري، سعيد علي القحطاني، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ.
١٧١- فقه السياسة الشرعية، خالد العنبري، مطبعة سفير، الرياض، توزيع مؤسسة الجريسي، ط١، ١٤١٨هـ.
١٧٢- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تصحيح وتعليق إسماعيل الأنصاري، دار إحياء السنة النبوية، مصر، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
١٧٣- فوات الوفيات، للكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.
١٧٤- فيض القدير، للمناوي، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

١٧٥- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
١٧٦- قرة عيون الموحدين، للشيخ عبد الرحمن بن حسن، طبع الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٣، ١٤٠٤هـ.
١٧٧- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للشيخ ابن عثيمين، نشر وتوزيع مكتبة وتسجيلات الكوثر، ١٤٠٦هـ- الرياض.
١٧٨- قوت القلوب، للمكي، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٢م.
١٧٩- الكامل في الضعفاء، لابن عدي، دار المنار للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
١٨٠- الكشاف، للزمخشري، تحقيق محمد صادق، وشركة ومطبعة مصطفى الحلبي، ط الأخيرة، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
١٨١- كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
١٨٢- كشف المناهج والتناقيح، للمناوي، تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
١٨٣- الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، مراجعة عبد الحليم محمد، وعبد الرحمن حسن محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ومطبعة السعادة، مصر، ط١، د.ت.
١٨٤- الكليات، للكفوي، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
١٨٥- كنز العمال، للهندي، ضبط بكري حياني، وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٨٦- لسان العرب، لابن منظور، مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، مصر، د.ت.

١٨٧- اللفظ المكرم بخصائص النبي المكرم، للخيضري، تحقيق محمد الأمين الجكني، مطابع ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٨٨- لوائح الأنوار السنية، للسفاريني، تحقيق عبد الله البصيري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٨٩- لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، دار الخاني للنشر، الرياض، والمكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٩٠- الماتريدية، لأحمد الحربي، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

١٩١- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للندوي، دار القلم، الكويت، ط١، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

١٩٢- المجددون في الإسلام، لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٩٣- المجروحين، لابن حبان، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

١٩٤- مجمل اللغة، لابن فارس، تحقيق زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٩٥- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ.

١٩٦- مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع محمد بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ.
١٩٧- المحدث الفاصل، للرامهرمزي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، د.ت.
١٩٨- المحصول في علم الأصول، للرازي، تحقيق طه جابر العلواني، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
١٩٩- المحلى، لابن حزم، تصحيح الشيخ هراس، مطبعة الإمام بمصر، ط أخرى بتصحيح حسن زيدان طلبه، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
٢٠٠- مختصر الترغيب والترهيب، لابن حجر، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر إدارة إحياء المعارف، باكستان، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.
٢٠١- مختصر طبقات الحنابلة، لابن شطي، دراسة فواز زمرلي، دار الكتابة العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٢٠٢- مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، لابن الموصلي، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
٢٠٣- مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.
٢٠٤- المداوي لعلل الجامع الصغير، وشرحي المناوي، للغماري، تقديم وتعليق مصطفى صبري، دار الكتبي، والمكتبة المكية، ط١، ١٩٩٦م.
٢٠٥- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، لابن بدران، تصحيح وتعليق د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢٠٦- المستدرك، للحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
٢٠٧- المستصفى، للغزالي، تحقيق د. حمزة زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، د.ت، ط أخرى بتحقيق د. محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
٢٠٨- المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، للألوسي، تحقيق د. عبد الله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٢٠٩- المسلمون بين التشديد والتيسير، للعودة، جمعية البر، بريدة، ط١، د.ت.
٢١٠- مسند الإمام أحمد، تحقيق مجموعة محققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
٢١١- مسند الشاميين، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٢١٢- مسند الشهاب، للقضاعي، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
٢١٣- مسند الطيالسي، تحقيق د. محمد التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٢١٤- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
٢١٥- المسودة، لابن تيمية، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
٢١٦- مشاهير علماء نجد، لعبد الرحمن آل الشيخ، دار اليمامة للبحث والترجمة، ط٢، ١٣٩٤هـ.

٢١٧- مشكاة المصابيح، للتبريزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
٢١٨- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق عامر الأعظمي، الدار السلفية، الهند، د.ت.
٢١٩- مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٢٢٠- المطالب العالية، لابن حجر، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
٢٢١- معارج القبول، لحافظ الحكمي، المطبعة السلفية، د.ت. على نفقة الملك سعود -رحمه الله-.
٢٢٢- معالم السنن شرح سنن أبي داود، للخطابي، تعليق عزت الدعاس، نشر وتوزيع محمد علي السيد، وإشراف محمد رفيق السيد، ط١، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.
٢٢٣- معجم الطبراني الأوسط، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.
٢٢٤- معجم الطبراني الصغير، تصحيح عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ، ودار النصر للطباعة، القاهرة.
٢٢٥- معجم الطبراني الكبير، تحقيق حمدي السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد، ط١، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، بإشراف وزارة الأوقاف العراقية.
٢٢٦- معجم المؤلفين، لعمر كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
٢٢٧- معرفة السنن والآثار، للبيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٢٢٨- معرفة علوم الحديث، للحاكم، تصحيح السيد معظم حسين، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط٢، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م.
٢٢٩- مفاتيح الفقه الحنبلي، لسالم الثقفي، دار النهضة للطباعة، مصر، ط٢، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٢٣٠- مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
٢٣١- المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، المطبعة الميمنية، مطبعة الحلبي، مصر، د.ت.
٢٣٢- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للقرطبي، تحقيق مجموعة محققين، دار ابن كثير والكلم الطيب، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٢٣٣- مقالات الإسلاميين، للأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ.
٢٣٤- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق عبد العزيز الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
٢٣٥- مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط٢، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
٢٣٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ومراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
٢٣٧- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ.
٢٣٨- المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق حلمي فودة، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٢٣٩- المنهاج النبوي في دعوة الشباب، لسليمان العيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٤٠- منهج الشوكاني في العقيدة، لعبد الله نومسوك، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٢٤١- المنهل المروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لابن جماعة، تحقيق محيي الدين رمضان، دار الفكر، دمشق، ط٢، د.ت.
٢٤٢- مهمات علوم الحديث، لإبراهيم الكليب، دار الوراق، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٢٤٣- موقف الإسلام من الدنيا، لأحمد إبراهيم، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٢٤٤- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، د. إبراهيم الدحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٤٥- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
٢٤٦- ميزان العمل، للغزالي، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٦٤م. ط أخرى بتحقيق سليمان البواب، دار الحكمة، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
٢٤٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية.
٢٤٨- نزهة النظر شرح نخبة الفكر، لابن حجر، مع النكت لعلي حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٣هـ.
٢٤٩- النصائح الدينية والوصايا الإيمانية، للحداد الحسيني، عناية السيد علي الهاشم، دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٥٠- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف الشيخ صالح ابن حميد، دار الوسيلة، جدة، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٢٥١- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
٢٥٢- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق د. محمود الطناحي، وطاهر الزاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.
٢٥٣- نيل الابتهاج، للتنبكتي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ط أخرى، القاهرة، ١٣٢٩هـ.
٢٥٤- هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٢٥٥- الوافي بالوفيات، للصفدي، اعتناء هلموت ريتز، دار النشر شتاينر، ط٢، ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م.
٢٥٦- الوسطية في ضوء القرآن الكريم، د. ناصر العمر، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.
٢٥٧- وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

فهرس الموضوعات

هذا الكتاب

اعتنى العلماء والأئمة بهذا الحديث قديما وحديثا ، جمعًا لطرقه وإثباتًا لتواتره ، واستنباطاً لمسائله الحديثية والفقهية ، وذلك دون البحث في مسائله العقدية العظيمة المتعلقة بأشرف العلوم وأجلها وأوجبها مطلبًا وهو علم التوحيد ، وقد ركزهذا الكتاب على الجانب الذي أغفل من قبل كثير من الباحثين وهو بحث ودراسة مسائل العقيدة وفق مذهب أهل السنة والجماعة، حيث بين الباحث فيه مسألة الإخلاص ، ومناصحة ولي الأمر وضوابطها ، ووجوب لزوم جماعة المسلمين ، وخبر الآحاد وحجيته في العقيدة ، وصفة الرحمة وصفة اليد لله سبحانة وتعالى وغيرها من مسائل العقيدة الأخرى المتفرقة

وفيه لفت نظر الباحثين ، والمتخصصين ، إلى ضرورة العناية بالسنة النبوية ، واستنباط المسائل العقدية منها ، على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعية .

ردمد ٢٤٣٤ - ١٣١٩ ISSN